ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 37 - العدد 1038 - الجمعة 20 شعبان 1424 هـ - الموافق 17 أكتوبر 2003

حسن العبادة لله

أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس يقول في افتتاح البرلمان :

1ـ لايمكنني بصفتي أميرا للمؤمنين، أن أحل ما حرم الله وأحرم ما أحله الله

2ـ بصفتنا ملكا لكل المغاربة فإننا لا نشرع لفئة أو جهة معينة وإنما نجسد الإرادة العامة للأمة التي نعتبرها أسرة كبيرة

رسالة المولى إدريس الأكبر لأهل المغرب

مسؤولية الآباء في التوجيه الإيماني للأبناء الإيمان ، الإسلام، الإحسان

في العدد الماضي من هذه الجريدة ميثاق الرابطة ونحن نردد بألسنتا ومن قلوبنا قول الله تعالى : "والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم"مررنا بالحديث الشريف الذي يتحدث فيه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حوار مع سيدنا جبريل ـ عليه السلام ـ مبينا فيه حدود منطقة الإيمان وأركان الإسلام ودرجة الإحسان، وأوردنا الحديث بالنصين الواردين في الصحيحين البخاري ومسلم، عن سيدنا عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عن أبيه، من رواة مسلم، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ من رواية البخاري والنصان ، معا، يؤديا إلى خلاصة واحدة: هي أن الدين هو الإيمان والإسلام والإحسان.

ونرى بعض الجوانب العلمية في النصين والتي تزيدنا قربا إليهما وإرواء لعطش البحث والوقوف مع الفقرات، وأحيانا، مع الكلمات.

بدون شك، فإن هذا الدرس العلمي لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان وعدد من الصحابةُ ـ رضي الله عنهم ـ يحيطون برسول الله، صلى الله عليه وسلم، ويحفظون ماينطق به، وعند الرواية والتبليغ بعضهم يستعمل النص كما سمعه من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وبعضهم يبلغ معناه ومضمونه حتى يبلغ إلى السامع هدفه، ويعرض أصول هذا الدين، والاختلاف في الألفاظ في نصوص الأحاديث النبوية حسب الروايات أمر مقبول لدى الرواة والعلماء ولاحرج في ذلك، وجمع النصوص كما وصلتنا مادام رواتها ثقات تعتبر مقبولة وحجة في البحث العلمي.

الأستاذ أحمد أفزاز

النائب الثاني للأمين العام ـ رئيس غرفة بالمجلس الأعلى شرقي

(تابع ص. 2)

الاستعداد لشهر رمضان

تستعد الأمة لاستقبال شهر رمضان المعظم بما يجب عليها أن تعمل به في هذا الركن من أركان الإسلام حسب ماحدد الشرع وصح عنه صلى الله عليه وسلم من عمل في أداء فرض صوم رمضان. يقع هذا الاستعداد في وقت يعيش فيه مجتمعنا الإسلامي ظروفا صعبة لما حيك ويحاك ضد الدين الإسلامي من مؤامرات تستهدف نسفه نتيجة دعايات مسمومة تلصق بمن يعتنق الإسلام... ويقوم بواجبه الديني من صلاة وصوم وزكاة وحج وإيمان بالله ورسوله. فعلينا معشر المسلمين أن نتخلى بما يدعو له الكتاب والسنة من الحكمة والاعتدال ونشر الألفة والرحمة بين أبناء البشرية حتى يكون سلوكنا النقي المعروف على أرض واقعنا الديني أكبر مفند لدعايات الأعداء الماكرة.... ويعلم المشاكس علم اليقين أن في تطبيق كل ركن من أركان الإسلام إصلاحا ببشرية وتهذيبا لسلوك الإنسان ونقاء لأدران النفس من كل شائبة...

إن ما نعاني منه نحن المسلمين مما يلصق بعقيدتنا وديننا الحنيف مما لا أساس له من الصحة قصد تشويه أهداف الإسلام الإصلاحية في العقيدة والسلوك والمعاملة لابد من علاجه باللطف والمرونة والتعقل ومايدعو له ديننا من نشر المحبة وزرع الأخلاق الفاضلة فقيمنا وعملنا السلمي البناء كل ذلك كفيل له بأن يتغلب على ما يشاع ضد هذا الدين الرحماني الذي حير العالم الإسلامي قادة وشعوبا مايواجه به من براكين السنة نيران العداء المبيت... فلنبرهن على أخلاق ديننا السامية في كل وقت وحين بدون أن نربط سلوكنا المستقيم بزمان ولامكان ونطبع حياتنا بالجد والاستقامة ونبتعد عن مواطن الرذيلة حتى نكون قدوة في القول والعمل، كي نؤثر بسلوكنا المستقيم على من صاحبنا. قال عليه الصلاة والسلام: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل" قال بعض الشعراء الحكماء:

رأيت صلاح المرء يصلح أهله

ويعديهم داء الفساد إذا فسد

يعظم في الدنيا بفضل صلاحه

ويحفظ بعد الموت في الأهل والولد

فمن منا أتى بالصيام على حقيقته وامتثل لما يجعل صومه سليما مقبولا فقد سلك بنفسه سبيل السلامة والنجاة ولقد خص الله الصوم بكثير من الفضل وشرفه بإضافته لنفسه حيث يقول سبحانه: "الصوم لي وأنا أجزي به" جزء من الحديث القدسي الذي رواه أبو هريرة وأخرجه مسلم في الصيام والبخاري ومسلم في فضل ليلة القدر، ووردت أخبار صحيحة وموثقة وموثق بها في فضل الصوم وفضل شهر صيام رمضان ويكفي شهر رمضان من الفضل كونه نزل فيه القرآن قال تعالى: "شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن" ويستحب في هذا الشهر المبارك الإكثار من تلاوة القرآن وبذل المال وتعجيل الفطور وتأخير السحور، ولينتبه المسلم على أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل العشر الأواخر من رمضان شد مئزره وأحيا الليل وأيقظ أهله.

وفي شهر رمضان ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر على قول جمهور العلماء، ويرى البعض أنها مخفية في ليالي السنة كلها والله أعلم.

وفي الأثر أن من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه، وفي بعض الروايات وما تأخر.

وعند بعضهم أن للصوم ثلاث مراتب: صوم العموم وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص. أما صوم خصوص الخصوص فهو صوم القلب عن الهمم الدنيئة والأفكار المبعدة عن الله تعالى وكفه عما سوى الله تعالى بالكلية.

وصوم الخصوص غض البصر وحفظ اللسان عما يؤذي من كلام محرم أو مكروه أو ما لا يفيد، وحراسة باقي الجوارح، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه" أخرجه البخاري في الصوم وأبو داود والترمذي وابن ماجة.

* * * * *

أخي المسلم كل أركان الإسلام تدعو إلى مجابهة النفس والحرص على تهذيبها وتربيتها التربية الصالحة حتى يكون الإنسان المسلم قدوة عند الآخرين في جميع مظاهر حياته النقية الطاهرة السالمة من كل شائبة ورين. فإذا نحن حرصنا كل الحرص معشر الإسلام على تطبيق مايدعو له كتابنا وسنة نبينا فسيكون ذلك أكبر برهان وأقوى حجة تدحض مزاعم أعدائنا الذين ينعتون ديننا بالتعصب ويطلقون على المتمسكين بمنهاجه النوراني الذي ليله كنهاره لايزيغ عنه إلا هالك يطلقون عليهم إسم الظلامين(كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا).

لقد ظهر في هذا العالم رجال فكر وقادات أمم كانوا منصفين فيما كتبوا وقالوا عن الإسلام والمسلمين وهم ليسوا بمسلمين لكن انتصروا للحق بدون تعصب منهم.

فلنحافظ أمة الإسلام على سلوك الإسلام المستقيم وعلى منهاجه القويم ونبرهن للكل عن إنسانيتنا الفطرية وأخلاقنا الرحمانية وروابطنا الاجتماعية الحضارية التي تنبذ العنف والإرهاب وتحاربهما وتمقت الظلم وتحرمه (ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا)..

فضيلة الشيخ ماء العينين لارباس

النائب الأول للأمين العام لرابطة علماء المغرب

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

الرحلة الحجازية: إيمان وعبادة وثقافة

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

■ في الحقة الماضية تحدثنا عن بواعث الرحلة الحجازية من المغرب إلى المشرق، وذكرنا أن علمائنا رحمهم الله اهتموا اهتماما كبيرا بأداء مناسك الحج والعمرة وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة، وأشرنا إلى أن عددا منهم دونوا رحلتهم إلى الحجاز، أو رحلاتهم، وعلى سبيل المثال ذكرنا ما قاله ابن العربي المعافري في مقدمة كتابه (قانون التأويل) عن بداية رحلته للحج والدراسة، وأشرنا كذلك إلى رحلة ابن جبير، وابن بطوطة، وإلى رحلة أبي عبد الله محمد العبدري الحاحي، تلك الرحلة التي نالت شهرة بين العلماء والأدباء، ومما يدل على ذلك ماقام به أبو العباس أحمد بن قنفذ من دراسة هذه الرحلة وتأليف اختصار لها.

وفي هذه الحلقة نشير إلى رحلة ابن رشيد الفهري السبتي، والتي كان هدفه منها بالإضافة إلى حج بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، لقاء شيوخ العلم بكل مكان يحل به، بقصد الأخذ عنهم، والتحدث إليهم، وبسرعة كان ينسجم معهم، يقرأون عليه بعض كتبهم، أو يتولى هو قراءتها وهم يسمعون، ويأخذ عنهم أسانيدهم العالية، ويدونها ، ويحرص عليها ويعتز بها... وبذلك جاءت رحلته في أجزاء متعددة، وتتوفر على معلومات نادرة في علم الحديث، ومصطلحه ومعرفة رجاله...

وقد وجد ابن رشيد متعة كبيرة في الاتصال بأكابر العلماء من الأئمة والمحدثين والفقهاء، وعلى عهده في القرن السابع الهجري وهو القرن الذي تمهدت فيه طرق الحج كما سبقت الإشارة إلى ذلك، في هذا القرن ازدهرت مراكز العلم بالبلاد الإسلامية وعرفت هذه المراكز نشاطا متزايدا تمثل في وفرة العلماء المتضلعين في مختلف العلوم الإسلامية، ومن خلال قراءة رحلة ابن رشيد يطلع القارئ على مظاهر الحركة العلمية بالحواضر والقرى التي زارها المؤلف بإفريقية، ومصر، والشام، والحجاز، فهو يمتع القارئ بالتعرف على عدد كبير من العلماء وبموضوعات الحوار التي كانت بين ابن رشيد وأساتذته وأقرانه وأصدقائه وذلك لشدة اهتمامه بالحديث النبوي الشريف رواية ودراية، فالرحلة التي كتبها ابن رشيد تمثل تدوين برنامج شامل تحدث فيه عمن لقيه من الشيوخ، والحفاظ، والمسندين والمحدثين، والفقهاء والمتكلمين والنحاة، والأدباء واللغويين في كل بلد حل به أو زاره، مع العناية الكاملة بتسجيل عناوين الكتب المسموعة والمدروسة، والمصنفات التي أجيز بها في مختلف فروع المعرفة...

فابن رشيد كان اهتمامه اليقظ علميا بالدرجة الأولى، مع الحرص على تكثير الشيوخ والاستفادة منهم، والحصول على الإجازات الخاصة والعامة، وبذلك اعتبرت رحلته من الرحلات الحجازية النادرة المثال، وحق له بجدارة أن يعطيها هذا العنوان: "ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة، في الوجهة الوجيهة، إلى الحرمين، مكة وطيبة".

والعيبة بفتح العين وعاء من أديم جلد ونحوه، يكون فيه المتاع، وابن رشيد بالفعل قد ملأ عيبته بما جمع بطول الغيبة، ولله در هذا العالم المغربي السبتي الذي تعتبر رحلته موسوعة علمية وبرنامجا وفهرسا لمواد العلوم الإسلامية، وشيوخها الأفذاذ الذين التقى بهم واحدا، واحدا، وعرف بهم وبمكانتهم العلمية...

ولابأس من أن نترك المؤلف الرحالة يتحدث وقد اقترب مركب الحجيج من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، بعد أن مر بأقاليم المغرب العربي، وبمصر والشام، حيث يقول:

"وأبرح مايكون الشوق يومان إذا دنت الديار من الديار"

أخذنا في الرحيل، وقد ارتفعت أصوات الحداة، وخفت الركاب واختفت، واهتاجت القلوب وخفقت، وهمعت الدموع حتى لقد كاد يسمع وقعها، ولمعت البروق من آفاق طيبة وتتابع لمعها، فما لمع برق إلا ضج الناس بالتسليم على النبي الكريم، فلله تلك الساعة ما أطيبها، وتلك الأصوات ما كان أعذبها وأطربها.

"فرحا بمغناه المقدس من شربه من فرح المحب مبشرا بقبول"

إلى أن تنفس الصبح، وقد تراءت أعلام طيبة مطوقة بالنور، متوهجة بالهيبة، وقد كدنا من الطرب نطير، وعاينا مرأى بديعا ماله في الوجود نظير، وحين دنونا من جدران المدينة نفحتنا روائح كانها العبير، فمن الناس من أقدمت به أريحية الشوق فتقدم، ومنهم من تأخرت به الهيبة فأحجم وماأقدم، حتى سكنت منه الحال، وتأهب لمشاهدة ذاك الجلال، وكان نزولنا على اليمن والبركة، بظاهر طيبة شرفها الله، وقت الضحاء، من يوم الأحد الثالث والعشرين لذي القعدة. أي من عام: 685هـ. فأخذ الناس منازلهم واغتسلوا وتجملوا للقدوم على الضريح الطاهر، فلله ذلك اليوم ماأعظمه وأسعده، وأكرمه، أعزز به من عيد سعيد، فاق كل عيد، فهو خير أيام العمر، وأسعد أوقات الدهر، وتاريخ مولد السعادة، ومفتاح الحسنى والزيادة، ثم دخلنا المدينة شرفها الله، للسلام على النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ملأ السرور قلوبنا، وملك التوقير جوارحنا، واستعملنا سنة السلام، وحييناه صلى الله عليه وسلم، بتحية الإجلال والإعظام، ووقفنا حيث حده العلماء من ضريحه الكريم المخصوص بالتشريف والتعظيم، وقضينا المستطاع من أدب التحية، وكادت تغلب الوقار الاريحية، ولله در شيخنا الأديب الصوفي أبي يعقوب يوسف البكري المهدوي، عرف بابن السماط حيث يقول:

"وإذا أسأت تأدبي بحماكم عفوا
فإني غبت عن معقولي
من ذا يرى حرم الحبيب فيهتدي
لتمييز المعلوم والمجهول

ثم قضينا حق السلام على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثانية في الغار والعريش والطريق، ثم على أمير المؤمنين الفاروق ثالثهما في المدفن الكريم المقدس، وتالي أبي بكر في المكانة، الذي اختصه بحمل أعباء الخلافة بعده، وفوض إليه مقاليد تلك الأمانة رضي الله عنهما وجزاهما أفضل ماجزي صاحبي نبي عنه، ثم زرنا بالبقيع(×) قبر أمير المؤمنين ذي النورين، وثالث العمرين رضوان الله عليه، وقبره في طرف البقيع، بقيع الغرقد، بالموضع المعروف:(بحش كوكب)، ودفنت معه في قبة واحدة فاطمة بنت أسد رضي الله عنها، أم أمير المؤمنين، وابن عم سيد المرسلين أبي الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقرأنا على مهد قبرها منقوشا:"وما ضم قبر أم أحد كفاطمة بنت أسد" وفاطمة هذه بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف أم علي وإخوته وهي أول هاشمية ولدت لهاشمي، هاجرت إلى المدينة، وبها ماتت رضي الله عنها، وشهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم، وألبسها قميصه ، واضطجع معها في قبرها، فسئل عن ذلك فقال: لم يكن أحد بعد أبي طالب أبر بي منها، ألبستها قميصي، لتكسى من حلل الجنة، واضطجعت معها ليهون عليها . وقد تحدث عن هلال ابن حجر في الإصابة(ج:4:380)، وزرنا من عرف قبره من الصحابة رضوان الله عليهم، والصحابيات، وقبر إمام دار الهجرة أبي عبد الله مالك بن أنس رضوان الله عليه، وخرجنا ماشين إلى قباء اقتداء بزيارته صلى الله عليه وسلم، إياها، وصلينا في مسجدها في الموضع الذي يقال إنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي فيه، وشربنا من العين التي هناك، والحمد لله على نعمه الصافية، وآلائه الضافية".

هكذا نرى أن ابن رشيد يتحدث بكثير من الخشوع والشوق، وقد اقترب من المدينة المنورة، ورأى أعلامها ومابدا من معالمها، يصف حالته النفسية والوجدانية، ومبلغ التأثر الذي جاشت به خواطره، وكيف استعد هو ورفاقه بالاغتسال والتزين للسلام على الحبيب صلى الله عليه وسلم، ثم يذكر أدب الزيارة وأنه يقف من ضريحه صلى الله عليه وسلم عندما حده العلماء كايجا لعواطفه المتأججة، ثم سلم على الحبيب وصاحبيه أبا بكر وعمر وحلاهما بما يفرضه موقعها من الصحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد الانتهاء من الزيادة والسلام على المقام الشريف يتجه نحو البقيع، ويذكر أنه بدأ بضريح أمير المؤمنين سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، وبذلك جمع بين ما وجد بالمدينة من الخلفاء الراشدين، أما الخليفة الرابع فمدفون بالكوفة ، لكنه يسلم على والدته رضي الله عنها بكثير من الإجلال والاكبار، ويؤكد أنها مدفونة مع الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنهما في قبة واحدة، ويذكر كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يبربها، ويثني عليها، وأنه شهد لها بالجنة، ونقل القول المنقوش على قبرها في تعظيمها، وبذلك أدرج الخليفة الرابع في هذه الزيارة بذكر والدته والثناء عليها، ثم زار قبر إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه، ثم قبور عدد من الصحابة والصحابيات، ولم يبق من هذه القبور التي كانت معروفة بالبقيع إلا مايذكره أصحاب الرحلات الحجازية، ثم يذكر أنه ذهب وصحبه ماشين إلى مسجد قباء اقتداء بزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم له.

وفي الحلقة القادمة بحول الله نذكر من لقيه من العلماء والعالمات بالمدينة المشرفة.

× البقيع : كل مكان به أروم الشجر من ضروب شتى، وبه سمي بقيع الغرقد، وهو كبار العوسج، مقبرة أهل المدينة، ومن يموت بها، به عدد كبير من الصحابة، وأهل البيت رضي الله عنهم، وردت أحاديث في فضله، وفي دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأهله".

(تتمة ص:1)

فرواية عمر بن الخطاب. رضي الله عنه. التي سمعها منه ابنه عبد الله وأخرجها عند الإمام مسلم نجد فيها وصفا لحال الرجل (سيدنا جبريل عليه السلام) شديد بياض الثياب فلون لباس الملائكة هو البياض وربما لهذا كان لبس الثياب البيضاء يوم الجمعة للصلاة وهي تؤدى في المسجد مع جمع من الناس، والمسجد لايخلو من حضور الملائكة، فيندمج المومن معهم في بياض الثياب، وشدة سواد الشعر في نفس الرواة تشير إلى حال الرجل السائل وهي حال تثير كثيرا من المعاني التي تحلى بها سيدنا . جبريل عليه السلام . وهو يجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولم ير أحد من الصحابة الذين كانوا في محيط رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أن الرجل قادم من مكان بعيد، فلا أثر لحالة السفر عليه، وكأنه من أهل المكان، ولكن أحدا لايعرفه، فصورته كانت على صورة رجل من الذين خلقهم الله كما أراد، لغرض أراده الله . عز وجل . سيظهر للصحابة من حديث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أنه جبريل أرسله الله على تلك الصورة ليعطي للمومنين درسا في معرفة أمور الدين من خلال السؤال والجواب في شؤون الدين كلها الاعتقادية والقولية والفعلية.

وقد استعمل الرجل (جبريل) نوعا من الجرأة على مجلس رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقد تخطى الصفوف حتى جلس بين يدي رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهو أمر لايصدر من الصحابة لهيبة المجلس ورسول الله، صلى الله عليه وسلم ، يتصدره ولكن حالة الرجل الذي لايعرفه أحد من الجالسين وهيأته العالية الدرجة جعلت الصحابة . رضي الله عنهم . ينظرون يمينا ويسارا في بعضهم، من علامة استفهام عمن يكون الرجل الذي يسند ركبتيه إلى رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ويضع كفيه على فخديه، وهو وضع لايصدر إلا من طرف معروف عند الجميع، وممن له مكانة اجتماعية خاصة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعند المسلمين.

ثم بدأ الرجل يسأل النبي، عليه الصلاة والسلام، عن شؤون الدين.

وفي العدد المقبل نتابع الدرس مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إن شاء الله.

في معنى الهيللة

للعلامة سيدي أبي عبد الله محمد العربي الفاسي

■ الأستاذ : إدريس كـــرم

وقد علم من هذا أن اللفظ إلاه إطلاقين بحسب اللغة وهو المستحق للعبودية له وبحسب الإصطلاح الأصولي هو المستغنى بذاته المفتقر غيره إليه، وعلم ان الأول بحسب اعتقاد المشركين أعم مطلقا، ولا يلزم من نفي الأخص نفى الأعم، كما يلزم من نفي الأعم نفي الأخص، ولما كان اعتقاد المشركين إن آلهتهم لا يشملها هذا الأخص بل لا شعور لهم به وكانت كلمة التوحيد رادة عليهم قطعا وجب حمل هذا اللفظ على المعنى الذي يعرفونه الشامل لمعبوداتهم، وهذا لا إشكال فيه إن شاء الله.

الحمد لله وحده

من خط العلامة سيدي محمد بن الحسن البناني أسكنه الله دار التهاني ما نصه:

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، إعلم أن لفظ إلاه موضوع في اللسان العربي للمعبود بحق، وهو المستحق للعبودية له وقد حكم الشرع والعقل بأن المستحق للعبودية له هو المستغنى عما سواه، المفتقر إليه ما عداه، فيصح بحسب ذلك أن يقال أن كل مستحق للعبودية مستغني عما سواه، مفتقر إليه ما عداه، وبالعكس فكانا متساويين كلما صدق أحدهما صدق الأخر، لا مرية بحسب ذلك في اتحاد مصدوقهما الذي يصدقان عليه.

■■■■

كما أنه أيضا لا مرية في اختلاف المفهوم من قولنا مستحق للعبودية له، وقولنا مستغنى عما سواه، مفتقر إليه ما عداه، فتباين المفهومين مما لا إشكال فيه، ونظير ذلك، الإنسان موضوع للحيوان الناطق،ومفهوم الناطق مخالف لمفهوم الضاحك لا محالة لكن الناطق بالإمكان متحدان مصدوقا إذ كل ما صدق ناطق صدق ضاحك بالإمكان، وكلما صدق ضاحك بالإمكان صدق ناطق، وحصول التلازم بينهما وعدم الإنفكاك واضح فإذن دلالة الإنسان على الناطق مطابقة لأنه موضوع له، وعلى الضاحك بالإمكان التزم أنه لازم له، ودلالة المطابقة حقيقية، ودلالة الالتزام مجازية، وهذا كله بحسب الوضع اللفظي والحقيقة والمجاز هما من عوارض ذلك، فاعتبر ما ذكرناه في المقام الذي نتكلم فيه، تجد دلالة لفظ الإلاه على المستحق للعبودية له مطابقة، وعلى المستغنى عما سواه المفتقر إليه ما عداه التزاما.

■■■■

والدليل القاطع على ذلك أن من المعلوم ضرورة أن العرب كانوا يطلقون لفظ الإلاه على من يفتقدون افتقاره وعدم استغنائه، فقد كانوا يطبقونه على الصنم الذي ينحتونه بأيديهم وأين الاستغناء من يفتقر إلى ناحت ينحته ولا يظهر بهم أنهم كانوا يعتقدون استغناءه مع ذلك، اذ معتقد ذلك نازل عن طبقة العقل التكليفي، وهم مكلفون إجماعا على أنهم قد صرحوا بذلك، قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا، إلى الله زلفى، وقالوا في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريك هو لك تملك، وما ملك، فأين اعتقاد الاستغناء من هذا التصريح.

■■■■

فاتضح أنهم كانوا يطلقون لفظ الإله على من يعتقدون افتقاره إلى غيره.

■■■■

وإذا أمعنت النظر ظهر لك أنهم لم يعتقدوا في الوجود مستغنيا الاستغناء الذاتي المطلق مع إطلاقتهم لفظ الإلاه لا محالة فكيف يصح أن يقال أنهم وضعوا هذا اللفظ لهذا المعنى الذي لا يعقتدون بل إنما وضعوه لما يعتقدونه وهو استحقاق العبودية لغير المستغني، وخالفوا في ذلك الشرع والعقل إذا حكما بتساويهما.

فالغلط الناشئ لهم هو في هذا الاعتقاد والإطلاق تابع له، فلما اعتقدوا أن المستحق للعبودية له ليس من لازمه الاستغناء عما سواه، وافتقار ما عداه إليه، وأن الاستحقاق حاصل بغير ذلك مما توهموه في الصنم ليس مستحقا للعبودية له أنكروا ذلك لاعتقادهم استحقاقه، فإذا كان مقام بطلان ما يعتقدونه من ذلك، قررت لهم الأدلة على أنه لا يستحق العبودية له إلا المستغني عما سواه المفتقر إليه ما عداه ثم الأدلة على أن ليس الله وحده، فلا إلاه إلا الله وحده ولا مرية في أنهم إن اعتقدوا في الوجود من له الغنى الذاتي وافتقار غيره إليه لم يعتقدوا ذلك في غير الله تعالى بدليل، ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله، ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله، فواضح أن نزاعهم إنما هو في حصر المستحق في المستغنى لا في أن آلهتهم مستغنية.

ومن أحاط علما بجميع ذلك علم أن كلمة التوحيد متناولة بالنفي لكل ما عبد من دون الله تعالى، من صنم وغيره، والمنفى هو استحقاق العبودية ونفي العفة لا يستلزم نفي الذات كما يتوهم من لا تحصيل عنده.

■■■■

فمن القضايا الضرورية أن المنتفي في قولك زيد ليس بقائم، أو لم يقم زيدا، وما قام زيدا، ونحو ذلك إنما هو الصفة التي هي القيام أو غيره لا ذات زيد، وقد خوطبت العرب بكلمة التوحيد، ولم تخاطب إلا بما تعرفه وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه، وأبطلت عبادتها الأصنام بها، وهذا بالغ من الظهور مبلغا لا يحتاج إلى استدلال، ويكفي حديث أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله الله ، والإجماع على أن لفظ الناس شامل لعبدة الأصنام وغيرهم، ولا يتم هذا إلا بتفسير الإلاه، بمستحق العبادة، وقد تلقت العرب الخطاب بكلمة التوحيد، وفهمته على الوجه المذكور، وعلمت أنه متصد لأصنامهم فقد كانوا إذا قيل لهم لا إلاه الا الله يستكبرون، وليس ذلك إلا لفهم أن النفي يشمل آلهتهم التي هي الأصنام، ولم يتوهموا أنها متصدية لنفي ذوات أصنامهم التي هي خشب أو حجر أو غير ذلك ، وإلا لعارضوا بأنها موجودة، فكيف تنفى وليس يسمع قط عنهم ذلك، ولكنهم علموا أن النفي إنما هو متسلط على ألوهيتها المفسرة عندهم فاستحقاقها العبادة، ولذلك كانوا يستكبرون عند سماعها إذ كانت رادة عليهم ومبطلة لمعتقدهم.

■■■■

إذا تقرر هذا علم أن معنى الإلاه بحسب اللغة إنما هو المستحق للعبودية له ويكفي في الاستظهار على ذلك نقلا قول الجوهري، وناهيك به، والآلهة الأصنام سموها بذلك لاعتقاد هم واسماؤهم تتبع اعتقاداتهم لا ما عليه الشيء بنفسه هـ.

فإن قلت كثيرا ما يفسرون لفظ الإله بالمعبود من غير تغيير بحق أو باطل، فما نسبته مما تقدم قلت مرادهم المعبود بحق لأن الإسم بحسب اللغة تابع لاعتقاد أهلها الذين هم العرب، كما تقدم، وبالضرورة أن كل من عبدوه فهم معتقدون استحقاقه لأن يعبد، ونص ما في القاموس: وكل ما اتخذ معبودا إلاه عند متخذه هـ.

■■■■

وذلك واضح فإنهم لا يعبدونه وهم يعتقدون عدم استحقاقه فيكونون قد رضوا لأنفسهم العبث والخضوع لحجر أو خشب لا يضر ولا ينفع، وتعرضوا دونه لإ سالة مهجهم على ظبات المرهفات والغنى، وسبى حريمهم وذهاب أموالهم، هذا ما لا يليق أن ينسب إليهم دون ما يتأولونه، فكان من لازم العبادات، إذ العابد أننا بحق، وإذا اعتقد ذلك صح له بحسب لغته إطلاق لفظ إلاه على معبوده لأنه يطلق دون اعتقاده استحقاقه، فإن قلت قد يعرجون بإطلاقه ففي الكشاف الإله من أسماء الأجناس كالرجل والفرس، اسم يقع على كل معبود بحق أو باطل، ثم أغلب على المعبود بالحق، كما أن النجم اسم كل كوكب، ثم غلب على الشريان، وكذا السنة على عام القحط، والبيت على الكعبة، والكتاب على كتاب سيبويه، وأما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره هـ.

قلت تقسيمه المعبود إلى معبود بحق ومعبود بباطل هو بحسب الوجود الخارجي لا بحسب اعتقاد أهل اللسان الذي هو أساس الوضع والاستعمال، فيكون معنى كلامه أن لفظ إلاه موضوع للمعبود بحق في نفس الأمر مستعمل في المعبود بحق، ومنه معبود بباطل ثم غلب لفظ الإلاه على المعبود بحق بحسب نفس الأمر، فيطابق الاعتقاد والخارج ومراده المعبود بحق الجزء الخارجي لا الكلي الذهني، وأما تفسيره بالغنى بذاته المفتقر غيره إليه، فتفسير باللازم كما تقدم بيانه وتفسيره بذلك هو اصطلاح المتقدمين من الأصوليين كما قاله ابن عرفة، قال والإله عند النحويين واللغويين هو المعبود تقرب هـ.

■■■■

وقد علم من هذا أن اللفظ إلاه إطلاقين بحسب اللغة وهو المستحق للعبودية له وبحسب الإصطلاح الأصولي هو المستغنى بذاته المفتقر غيره إليه، وعلم ان الأول بحسب اعتقاد المشركين أعم مطلقا، ولا يلزم من نفي الأخص نفى الأعم، كما يلزم من نفي الأعم نفي الأخص، ولما كان اعتقاد المشركين إن آلهتهم لا يشملها هذا الأخص بل لا شعور لهم به وكانت كلمة التوحيد رادة عليهم قطعا وجب حمل هذا اللفظ على المعنى الذي يعرفونه الشامل لمعبوداتهم، وهذا لا إشكال فيه إن شاء الله.

■■■■

وقد تضمن كلام الشيخ أبي عبد الله السنوسي رحمه الله الإطلاقين معا، إلا أنه لم يميز اللغوي من الاصطلاحي، فظن كثير ممن لا تحصيل عنده أنهما عند الشيخ شيء واحد، وذلك غلط ممن توهمه، وإنما ذكر الشيخ أولا تفسير اللفظ بالمعنى اللغوي وهو المصحح عنده في ذلك التقسيم ثم ذكر المعنى الاصطلاحي وهي محل اندراج العقائد كما فصله رحمه الله.

■■■■

ولما التبس ذلك على كثيرين أوقعهم في توهمات وتشكيكات لا حاصل لها ولا طائل تحتها، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

■■■■

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم هـ، من خط شيخ شيوخنا سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي قيده من خط العلامة سيدي أبي عبد الله سيدي محمد العربي الفاسي.

ح ع د 1755.

في ظلال الحديث

الحديث التاسع والسبعون : من مكارم الاخلاق: الرفق

فحديث: عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله(ﷺ): " إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله " متفق عليه.

■إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

تخريج الحديث:

هذا حديث صحيح متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، في استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب إذا عرض الذمي وغيره بسب النبي (ﷺ)ولم يصرح به (ج6/ص2539/ح6528)، وفي الأدب المفرد(ج1/ص116/ح311)، ومسلم في صحيحه، في البر والصلة والأداب، باب فضل الرفق (ج4/ص1706/ح2165)، وابن حبان في صحيحه(ج14/ص354/ح6441). وابن خزيمة في صحيحه (ج1/ص288/ح574)، والترمذي في سننه، في الاستئذان(ج5/ص61/ح2701) وابن حنبل في مسنده (ج2/ص170/ح6589)، والحميدي في مسنده(ج1/ص121/ح248). والنسائي في سننه الكبرى ج6/ص103/ح10213)، وابن راهوية في مسنده ج3/ص660/ح1252)، والقضاعي في مسند الشهاب (ج2/ص143/1065)والبيهقي في سننه الكبرى(ج9/ص203/ح18503)وابي يعلى في مسنده (ج7/ص395/ح4421)وعبد بن حميد في مسنده(ج1/ص428/ح1471).

سبب ورود الحديث:

هذا الحديث كما جاء في كتب الحديث كان سبب وروده أن رهطا من اليهود الذين كانوا يعيشون في المدينة دخلوا على رسول الله (ﷺ) بعد استئذان، فأرادوا إيذاء النبي (ﷺ) بالتلميح والتعريض، فقالوا: السلام عليك فقالت عائشة رضي الله عنها: بل عليكم السلام واللعنة، وإنما دفعها إلى قول ذلك حبها وغيرتها على رسول الله (ﷺ)، وفهمها المقصود من كلامهم، فقال(ﷺ):ياعائشة إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله فقالت وكأنها توضح وتبين: أولم تسمع ماقالوا فقال: قلت وعليكم، وهذه درجة عظيمةمن الحلم والرفق، والخلق العظيم، كيف لا وهو نبي الأخلاق، وقد بعث ليتمم مكارم الأخلاق.

سند الصحيح:

هذا الحديث أخرجه البخاري في صحيحه فقال: حدثنا أبو نعيم عن ابن عيينة عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها وذكر الحديث وهذه تعريفات موجزة بالرواة:

أبو نعيم: أبو نعيم الفضل بن دكين واسم دكين عمرو بن حماد بن زهير الحافظ الثبت الكوفي الملائي التاجر وكان حافظا متقنا ثبتا. قال أحمد بن حنبل قال أبو نعيم كتبت عن أزيد من مائة شيخ من كتب عنهم الثوري قال أحمد هو أقل خطأ من وكيع وقال هو أعلم بالشيوخ وأنسابهم وبالرجال ووكيع أفقه منه وقال أبو زرعة الدمشقي سمعت ابن معين يقول ما رأيت اثبت من رجلين يعني في الأحياء أبي نعيم وعفان وقال أحمد بن صالح ما رأيت محدثا أصدق من أبي نعيم وقال يعقوب الفسوي أجمع أصحابنا أن أبا نعيم كان غاية في الإتقان وقال أبو حاتم أبو نعيم حافظ متقن، ولد سنة ثلاثين ومائة ومات شهيدا بالخوانيق وبورشكين في سلخ شعبان سنة تسع عشرة ومائتين.

ابن عيينة: هو سفيان بن عيينة بن ميمون العلامة الحافظ شيخ الإسلام أبو محمد الهلالي الكوفي محدث الحرم مولى محمد بن مزاحم ولد سنة 107هـ بالكوفة، وانتقل إلى مكة، وطلب العلم في صغره، وجالس الزهري وهو ابن ست عشرة، وهو من الطبقة الوسطى من الأتباع، وتوفي سنة198هـ. كان إماما حجة حافظا واسع العلم كبير القدر، من الحفاظ المتقنين وأهل الورع في الدين، قال الشافعي لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز، وكان يقول (أي الشافعي) ما رأيت أحدا فيه من آلة العلم ما في سفيان وما رأيت أحدا أكف عن الفتيا منه وما رأيت أحدا أحسن لتفسير الحديث منه.

الزهري: هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القرشي المشهور بالزهري، رأى عشرة من أصحاب رسول الله (ﷺ)، وكان من أحفظ أهل زمانه وأحسنهم سياقا لمتون الأخبار وكان فقيها فاضلا روى عنه الناس. قال ابن المديني له نحو ألفي حديث وقال أبو داود أسند أكثر من ألف وحديثه ألفان ومائتا حديث نصفها مسندة، قال عمر بن عبد العزيز عليكم بابن شهاب هذا فإنكم لاتلقون أحدا أعلم بالسنة الماضية منه. وكان مالك بن أنس يقول بقي من شهاب وماله في الدنيا نظير مات ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة أربع وعشرين ومائة(124) في ناحية الشام.

عروة: هو أبو عبد الله، عروة بن الزبير بن العوام الأسدي المدني، أحد الفقهاء السبعة في المدينة، وأحد علماء التابعين، روى عن أبيه وأمه، وعن خالته عائشة أم المؤمنين، وعن علي ، ومحمد بن مسلمة وأبي هريرة، قال عنه ابن سعد: ثقة كثير الحديث، فقيه عالم ثبت مأمون، كان يقرأ كل ليلة ربع القرآن، مات وهو صائم سنة 92هـ.

عائشة رضي الله عنها: هي الصديقة بنت الصديق السيدة المبرأة، أم المؤمنين، وكنيتها أم عبد الرحمن، عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، إحدى أزواج النبي (ﷺ)، وكانت من أحب نسائه إليه بعد خديجة رضي الله عنها، لم يتزوج النبي (ﷺ) بكرا غيرها، وكانت رضي الله عنها صائمة الدهر صاحبة كرم وجود وزهد وفقه وعلم وحفظ وفصاحة، قال أبو موسى الأشعري: "ماأشكل علينا حديث قط فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علما"، وقال الزهري: "لو جمع علم جميع أزواج النبي وجميع النساء كان علم عائشة أكثر " قالت أم ذر رضي الله عنها: بعث ابن الزبير إلى عائشة بمال . أراه مائتي ألف أو مائة ألف فقسمته بين الناس، وأمست وهي صائمة وما عندها من ذلك درهم، ومناقبها كثيرة من أن تعد رضي الله عنها وأرضاها. روي لها 1210 حديثا توفيت رضي الله عنها وعمرها 66 سنه ودفنت بالبقيع.

أهمية الحديث:

هذا حديث عظيم، يعالج ظاهرة غاية في الأهمية، وينبه الأمة جمعاء إلى خلق عظيم، يحتاج إليه كل فرد من الأمة، حاكما أو محكوما، غنيا أو فقيرا، كبيرا أو صغيرا، ذكرا أو أنثى.. وهو حديث يؤسس لعلاقة اجتماعية سليمة مع المسلمين وغيرهم أساسها السلم والأمن والرفق والحلم والأناة...

مفردات الحديث:

"رفيق" : إن الله لطيف رؤوف بعباده يأخذهم بالأسهل، والرفق في حق الله تعالى هو الحل، فإنه لايعجل بعقوبة العصاة من عباده بل يمهلهم ليتوب على من سبقت له السعادة ويزداد غيره.

"الرفق: لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل، وهو الثاني في الأمور والتدرج فيها وهو ضد العنف.

المعنى العام:

1. الله تعالى لطيف بعباده: إن الله تعالى رفيق في أفعاله حيث خلق المخلوقات كلها بالتدريج شيئا فشيئا بحسب حكمته ورفقه، مع أنه قادر على خلقها دفعة واحدة وفي لحظة واحدة..وهو سبحانه رفيق في أمره ونهيه فلا يأخذ عباده بالتكاليف الشاقة مرة واحدة، بل يتدرج معهم من حال إلى حال حتى تألفها نفوسهم وتأنس إليها طباعهم، كما فعل ذلك سبحانه في فرضية الصيام وفي تحريم الخمر والربا ونحوهما...

فالمتاني الذي يأتي الأمور برفق وسكينة، اتباعا لسنن الله في الكون واقتداء بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تتيسر له الأمور وتذلل الصعاب، لاسيما إذا كان ممن يتصدى لدعوة الناس إلى الحق فإنه مضطر إلى استشعار اللين والرفق كما قال تعالى: "ولاتستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) فصلت: 34.

2. حاجة الأمة لهذا الحديث اليوم أكثر من أي وقت مضى: إن الظروف التي تمر بها الإنسانية عموما، والأمة الإسلامية خصوصا اليوم، تستوجب من كل لبيب حكيم، نصب نفسه للتربية والدعوة، والوعظ والإرشاد، أن يرجع إلى سنة المصطفى (ﷺ) ليستلهم فقه الرشد، والمنهج القويم الكفيل بالتوفيق والسداد بعد فضل الله تعالى وهذا من الأخذ بالأسباب الذي هو فرضية العصر وكل العصور، وبما أن الحديث له وقع خاص وطابع خاص ارتأيت أن أغتنم فرصة تدارسه، والاستمتاع بظلاله الكريمة، نعم أحببت أن أوجه كلمات أحسبها صادقة، نابعة من قلب محب لكل مسلم، وراجيا العلي القدير، أن ينفعنا جميعا بهذا الحديث العظيم، ويجعلنا ممن يتخلقون بهذا الخلق العظيم.

3 كلمات روحانية إلى كل من يهمه الأمر:

أ. إلى ورثة الأنبياء، الدعاة الأصفياء، دعاة الحق والفضيلة، إلى كل خطيب وواعظ ناصح مرشد مشفق أمين، نقول: أنتم ياحماة الفضيلة ورعاة العقيدة، أولى من غيركم بالتفقه في هذا الحديث العظيم، فرفقا بالمنصوحين وقولا لينا، فإن في ذلك مدعاة لقبول نصحكم والاهتمام به...

هلا تأملتم خطاب الله جل وعلا لكليمه موسى وأخيه هارون عليهما السلام في قوله تعالى : "اذهبا إلى فرعون إنه طغى، فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) (طه:4443)، فإن كان أسلوب الخطاب هذا لذلك الطاغية فكيف بإخوانكم المسلمين، مانحن بأفضل من موسى وهارون عليهما السلام، ولاقومنا بأظلم وأفجر من فرعون وملاه، أما فيما يخص الغرب بشقيه والحوار معه، فالآية تبين لنا معالم المنهج، وللتنبيه فقط، عن الغرب ليس كفر كله، وليس شر كله، والدعاة إلى الله يوم أخلصوا النية إلى الله، واعتمدوا المنهج السليم في الدعوة إلى الله، أسلم على أيديهم عدد من الناس كانوا يعيشون في بلاد تنفق الأموال الطائلة التي لاتعد لنشر الكفر والإلحاد.

فحي على الدعوة إلى الله بالكلمة الطيبة والقول اللين والموعظة الحسنة، مع رفق ولين وحلم وأناة وعلم وعمل.

ب. إلى كل من ولي من أمر المسلمين شيئا سواء كانت ولاية عامة أو ولاية خاصة: كن رفيقا بمن هم تحت إمرتك ومسؤوليتك فقد قال (ﷺ): "اللهم من ولي من أمتي شيئا فرفق بهم فأرفق به ومن ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاش فق عليه".

كن معينا لهم على قضاء حوائجهم، يسر أمورهم، وابتسم في وجوههم، وابذل ما في وسعك لأداء مهمتك، وإياك أن تماطل بهم أو تسعى للإضرار بهم فإن الله سائلك عن ذلك فإن أحسنت أحسن الله إليك وإن أسأت جازاك الله على إساءتك بما تستحق وكنت مذموما في الدنيا والآخرة.

ت. إلى أب وأم أنعم الله عليهما بالبنين والبنات، وإلى كل معلم ومعلمة أنعم الله عليهما بمهنة الأنبياء نقول: رفقا بالقوارير من بناتكم ومربيات الأجيال وأمهات المستقبل، ورفقا بالبنين من أبنائكم صناع المجد، وبناة الحضارة بإذن الله فإنكم برفقكم وحسن أسلوبكم تصلون إلى مالا تستطيعون أن تصلوا إليه بالشدة والعنف فالتربية بالرفق والإحسان أكثر نفعا وأشد قبولا في نفوس هؤلاء الأولاد ليكون ذلك أدعى لقبولهم ومحبتهم للخير وأهله، فالعنف معهم دون سبب بين وكحالة استثنائية لا يولد إلا عنف والكراهية والانفعالات لقول رسول الله (ﷺ): "ماكان الرفق في شيء إلا زانه ومانزع من شيء إلا شانه".

ث. إلى كل ابن كريم، وابنة بارة نقول: رفقا بوالديك، سبب وجودك... ألم تشعر ما بقسوتك في التعامل معهما وهما اللذان سهرا على تربيتك والإحسان إليك... فإذا كان الرفق مطلوب مع الآخرين فهو مع الوالدين أوجب وأولى بل إن التأفف في وجههما إثم وقطيعة وجريمة... وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان فأحسن صحبتهما وأرفق بهما فانهما باب من أبواب الجنة.. إنه لايعقل أن تعيش في بحبوحة بين أقرانك وأصحابك، أو زوجتك وأولادك، وهما يحتاجان إلى أبسط مقومات الحياة، بل قد تجد بعض الأبناء قد زجوا بآبائهم في دور العجزة، مع من لا أهل له ولاعشير... واعمل أصلحك الله أنك إلى ماهم فيه سائر، والدنيا يوم لك ويوم عليك، فهلا أعدت حساباتك، وأقمت الميزان، قبل فوات الأوان...

ج. إلى كل زوج طيب كريم نقول: رفقا بزوجتك ورحمة بها، فإنها أم أولادك، وسترك وملاذك، تغسل ثيابك، وتطبخ طعامك، وتربي أولادك، وتحفظ عرضك، وتستر عورتك... وتعال بنا إلى بيت النبوة، بيت أعظم الأزواج، وأفضلهم على الإطلاق، فقد كان رسول الله (ﷺ) أرفق وارحم بعائشة رضي الله عنها من أبيها أبو بكر رضي الله عنه حينما جرى بينها وبين رسول الله (ﷺ) كلام حتى دخل أبو بكر حكما بينهما. فقال النبي (ﷺ) "تكلمي أو أتكلم"فقالت رضي الله عنها: تكلم أنت ولاتقل إلا حقا.. فلطمها أبو بكر رضي الله عنه حتى أدمى فاها وقال: أو يقول غير الحق ياعدوة نفسها؟ فاستجارت برسول الله (ﷺ) وقعدت خلف ظهره.. فقال النبي (ﷺ) :إنا لم ندعك لهذا، ولم نرد منك هذا" صحيح البخاري.

فقد كان الزوج العظيم أرفق بزوجته من أبيها وأحلم عليها منه وأشفق عليها، فهلا اقتديتم برسول الله (ص)...

ح. وإلى كل زوجة مؤمنة طيبة صالحة نقول: رفقا بزوجك ورحمة به تقديرا لظروفه وعدم الإثقال على كاهله وتكليفه بما لايستطيع ولايطيق، واعلمي وفقك الله لما يحب ويرضى، أنه سترك وحمايتك، يتعب لترتاحين، ويشقى لتسعدين، أكرمك الله به فأكرميه بالتقدير والاحترام، والرفق والامتنان.

وليكن لك في أمهات المؤمنين رضي الله عنهن قدوة حسنة حينما آثروا واختاروا الباقية على الفانية بعد أن خيرهم رسول الله (ﷺ) بذلك في قوله تعالى (إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا)(الأحزاب:28)

إلى كل هؤلاء وغيرهم ممن لم أذكرهم، عليكم بالرفق في كل شيء، فإنه لايأتي إلا بخير، ويكفينا أنه خلق الأنبياء والمرسلين، ووصية سيد الأولين والآخرين.

فوائد الحديث:

×الله تعالى رفيق بعباده.

×الترغيب بالرفق لما فيه من لين الجانب، وتأليف القلوب.

×اختيار الأسهل لما في ذلك من تواصل وتآلف.

×الرفق خير كله.

×إن المرء يدرك بالرفق مايدرك بالعنف.

والله أعلم بالمراد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

حديث المنابر

حسن العبادة: ذكر وشكر وصبر

■ إعداد الأستاذ: أبو ياسين عبد الرحمن

■ الحمد لله رب العالمين.. الحمد لله الذي أمن الذاكرين فلا خوف عليهم... الحمد لله الذي سر الذاكرين فلاهم يحزنون.. أشهد أنه الله لا إله إلا هو وحده لاشريك له هو القوي منه يستمد المؤمنون الذاكرون قوتهم فلا شيء يخيفهم إلا مقامه جل وعلا هو الملك فالمؤمنون الذاكرون يعلمون علم اليقين أنهم ومايملكون جزء ضئيل من ملك الله وملكوته، فيسلمون إليه أمورهم كلها، ويحسنون التوكل عليه حق التوكل، فتراهم إن أصابتهم سراء شكروا، وإن أصابتهم ضراء صبروا، فهم بين صبرهم وشكرهم في يسرين من كل أمورهم، ولن يغلب عسر أبدا يسرين فلذا ترى المؤمنين الذاكرين في مواجهة الزلازل والزعازع هادئين مطمئنين لايبدون للناس شكوى ولا ضعفا.. حتى إذا خلوا به في وحدتهم ناجوه ودمعت عيونهم وفاضت حبا وخشية وخوفا وطمعا، ففرج الله كروبهم ونفس عنهم همومهم وغمومهم وأظلهم بظله يوم لاظل إلا ظله.. وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله .. العبد الشكور الصبور.. الذي علم الناس الذكر والشكر والصبر وحسن العبادة... فزكاهم وطهرهم وباركهم وعليهم الكتاب والحكمة فكانوا رهبان الليل فرسان النهار.. خرجوا بفضله من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والأخرة، لاتضيق بهم أمور إلا عرفوا كيف يجدون لها بقوة عزمهم ورسوخ إيمانهم سعة وانفراجا... ولا تشتد عليهم أزمات إلا عرفوا كيف يجدون لها بقوة عزمهم ورسوخ إيمانهم سعة وانفراجا... ولاتشتد عليهم أزمات إلا عرفوا كيف يجدون لها بحسن توكلهم على الله وبصدق ذكرهم له حلا يفك عقدها ويسهل صعوبتها... فاللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه واهتدى بهديه إلى يوم الدين... فعاش ذاكرا لله في سلم وأمن واطمئنان إلى أن يلقى الله بقلب سليم...

أيها المؤمنون الذاكرون، إذا كان ذكر الله وسيلة للقرب من الله والعيش في كنفه والاطمئنان إلى رحمته والأمن في رحاب حماه.. إذا كانت بذكر الله تطمئن القلوب فما معنى هذا الذكر الذي نريد أن نعيش به في أمن وسلام واطمئنان وسعادة... الذكر هو أن يذكر المؤمن ربه فيحفظ خلقه من أذى لسانه ويده خوفا من غضب الله وعقابه الذكر هو أن يذكر المؤمن ربه فيستحضر عظمته وجلاله وانتقامه، ويستحضر كذلك رحمته ورأفته وجماله فلا يسعى في أي عمل يعمله لنفع نفسه وعياله إلى الإضرار بأحد من خلق الله عيال الله... فيجعل نفعه مرتبطا بنفعهم ومصلحته مرتبطة بمصلحتهم الذكر هو أن يحب المؤمن الله تعالى بالقلب واللسان وبكل الجوارح والأعضاء.. فهو في عمله يذكر الله.. وهو في مسجده يذكر الله.. وهو في ملاعبته أهله يذكر الله.. وهو في أكله وشربه يذكر الله.. وهو في سلمه يذكر الله... وهو في تسليته وترويحه عن نفسه يذكر الله... لأنه يعلم أنه إن نسي الله تعالى أنساه نفسه وجعل قلبه قاسيا فكان من الخاسرين الذين خسروا الدنيا والآخرة.. والعياذ بالله.

الذكر هو الثناء على الله حتى الثناء بما يستحق من الحمد والتسبيح والتهليل والتكبير والعمل الصالح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقراءة القرآن وتدبره والعمل به واجتناب العمل الطالح الذي يسخط الله تعالى ولاينفع عباده في دينهم ولادنياهم...

ذكر الله هو عدم ذكر عباده بسوء في حضورهم أو غيابهم... بل هو ستر معايبهم ونشر مكارمهم ذكر الله هو تعليم عباده العلم النافع الذي يصلح دينهم ودنياهم وآخرتهم وعدم كتمانه عنهم لأي سبب...

ذكر الله هو حفظ حقوق عباد الله المادية والمعنوية وعدم غمطهم أي حق لهم مهما بدا صغيرا أو حقيرا..

ذكر الله هو ألا يذل مؤمن نفسه لمخلوق من أجل عرض من أعراض الدنيا وزينتها ومتاعها فإذا حقق المؤمن الحق ذكر الله حقا بهذه المعاني التي أراد الله تعالى أن يتحقق بها ذكره.. اطمأنت القلوب وأمنت... ألم يقل الله تعالى: الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب...؟ فبتسبيح الله تعالى تطمئن القلوب والنفوس، وبتهليل الله تطمئن النفوس وترضى، وباستغفار الله تنزل الرحمات وتعم البركات، وبتلاوة القرآن وبتدبره تتفتح العقول وتستنير وتعي الحقائق وتعرف كيف تخرج من المآزق والأزمات بحكمة... بذكر الله يعرف المؤمن كيف يحقق إيمانه في الواقع الحي، ويعمل الصالحات، فطوبى له حينئذ..أي حقق الله له كل طيب وخير من الأمور، في حياته الدنيا، وله حسن المآب، أي حسن المرجع والمصير في الآخرة...

أيها المؤمن الذاكر، إنك حين تسبح الله، وتحمده، وتهلل وتكبر، وتستغفر، وتفعل الخير وتتجنب الشر وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتتلو القرآن وتتدبره... تجعل لنفسك هدفا تحيا من أجله: هذا الهدف هو أن تحقق إيمانك وتحصن نفسك بذكر الله... فلا تخاف ولاتحزن...

الذكر ب (الحمد لله)يعرفك بأن نعم الله عليك في نفسك ومن حولك لاتحصى ولايمكن أن تحصى مهما عددت

التفت حولك وحاول أن تعد أو تحصى.. حاول أن تنظر في نفسك، في جسدك، واعمل على أن تعد نعم الله عليك في جسدك أو في ضوء من هذا الجسد أو عضو منه... لن تستطيع أبدا أن تعد نعم الله عليك في نفسك وجسدك... فكيف تحقق ذكر الله بحمده حق الحمد على ما أولاه من نعم لن تستطيع إحصاءها في نفسك ومن حولك.. إن الذكر ب (الحمد لله)علامة القرب والاستجابة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

الحمد لله لكي تحققها وتنطق بها بقلبك ولسانك وبكل جوارحك هي أن تجعل لك هدفا واضحا تحققه، أن تعمل ماوسعك العمل على أن تخلص في عملك وتؤديه بإتقان وأن تجعل من هذا العمل غاية سامية ترضي بها الله وتنفع بها خلقه بدون انتظار جزاء ولاشكور... استغرق في عملك اليومي البسيط وأنت تذكر الله وتحمده، وحاول أن تتعلم كل أسرار عملك ودقائقه، واعمل على أن تتفوق فيه وتبدع، لتزيد دخلك ولتكف نفسك وعيالك عن ذل الحاجة إلى أي مخلوق.. ولتزكي نفسك بعمل صالح تفرق فيه كل وساوس شياطين الإنس والجن.. إنك حقا حينئذ ستشعر أنك إنسان حر عامل نافع صالح.. وحينئذ ستعرف نعمة الله عليك في نفسك ومن حولك، وإن لم تستطع أن تحصيها كلها.. وسيكون لك هدف من حياتك تحيا له ومن أجله لتحققه فيك وحولك.. قد تقول كما قال لي أحدهم مرة: إنني أعمل وأكد وأجد وأخلص وأتقن عملي.. ولكن رب العمل الذي أعمل معه يأكل علي حقي ولايوفيني أجري.. أجيبك بما أرى أنه الحق الذي أعتقده ولا أحيد عنه لو كنت مكانك" اعمل واعمل وأتقن وأخلص.. فلابد أن تظهر نتيجة عملك في نفسك وفي أهلك قبل أن تظهر في غيرك.. لأنك حين تركز جهدك في عملك، ستزداد به خبرة وفيه مهارة وله إتقانا وتحيا مرتاحا له وبه.. ومن أكل عليك حقك هو الخاسر، لأنه أعمى البصر والبصيرة، يظن أنه يربح من حيث إنه هو الخاسر، يخسر نفسه، ويمحق بركة رزقه، ويخسر إنسانا حقيقيا عاملا لو وفاه حقه لتضاعف له الربح المادي والمعنوي... ولاتستبطئ الفرج بالخلاص من هذا الظالم آكل الحق... ولاتنس أن الحمد لله يستوجب المزيد من النعم من الله.. إن هذا الظالم الذي يأكل حقك ولا يوفيك أجرك أحوج إليك منك إليه، فإنه يعتمد على مال يكسبه من سحت ومن أكل أموال الناس بالباطل، وأنت تعتمد على عمل صالح تتقنه... على موهبة ومهارة وخبرة وتجربة وإتقان اكتسبتها بجهدك واعتمادك على الله تعالى... فإن هو لم يقدر نعمة الله عليه بك... فلا تعص أنت الله تعالى فيه، واستمر على إخلاصك وإتقانك مادمت معه... فإن استيقظ ضميره وعادت إليه إنسانيته، فقد زادت نعمة الله تعالى عليك بأن جعلك سببا في هداية ضال... وهي خير من الدنيا وما فيها ومن حمر النعم ومن كل ماطلعت عليه الشمس وغربت... وإن هو كان ممن طبع الله على قلوبهم فاهجره إلى غيره ممن يقدر جهدك وأنت لابد واجهده.. وإن كنت تكره أن تكون تحت رحمة أحد ممن تخشى أن يستهينوا بجهدك ومواهبك وقيمة عملك... فحدد لنفسك هدفا واضحا تحقق به إنسانيتك كإنسان أولا خلق ليعمل وينتج ويبدع... وكإنسان مؤمن ثانيا خلق ليعمل ويرى الله ورسوله والمؤمنون عمله، لصالح نفسه وأهله والمؤمنين بل والناس جميعا... استقل بنفسك وطر بجناحيك... فإن جهدك لابد أن يؤتي أكله وتطيب ثماره لينتفع بها الناس... وأنت قبلهم ومعهم...

أيها المؤمن الذاكر، أعوذ فأذكرك، وأنت مؤمن ذاكر والذكرى تنفع المؤمنين: حدد لنفسك هدفا واضحا بسيطا: "تتعلم حرفة وتتقنها وتخلص فيها وتبتغي بها الكفاف والعفاف والغنى عن الناس، تتعلمها وأنت تعلم أن الله تعالى قد أخرج من بطن أمك لاتعلم شيئا، وجعل لك السمع والبصر والفؤاد وباقي الجوارح لتتعلم وتعمل وتفيد وتستفيد وتنفع وتنتفع، لتشكر الله وتحمده.. وتلك هي الغاية.. اقتداء برسول الله وهو العبد الشكور.

السمع وحده نعمة لايمكن أن تقدر فاحمد الله عليها...

البصر وحده نعمة لايمكن أن تقدر فاحمد الله عليها..

الفؤاد بما يجمع من عقل وعاطفة وإرادة كل ذلك نعم لاتقدر فاحمد الله عليها.. جوارحك كل منها نعمة لاتقدر فاحمد الله عليها...

بكل تلك النعم أنت تتعلم لتعمل لتعيش وتنفع وتنتفع وتفيد وتستفيد وتصلح وتصلح.. فأتقن مهنتك وأخلص فيها واعمل فيها بكل ما أنعم الله به عليك من نعم السمع والبصر والجوارح، ولاتنتظر من أحد أن يشكرك أو يحسن لك الجزاء...حدد لك من يومك هدفا قريبا تعمل على تحقيقه...وحدد لك من حياتك غاية تسعى إليها... وأنت في يومك تحمد الله على ماتعرف ومالا تعرف من نعم الله عليك... وأنت في كل حياتك تحمد الله على أنه لم يخلقك عبثا ولن يترك سدى...إنك بذلك تحقق إنسانيتك بالعمل الصالح. وترضي ربك بنفع الخلق عيال الله وإعمار أرضه الطيبة وزينتها... فإذا أنت كنت إنسانا حقا بصالح العمل.. وكنت راضيا مرضيا بالصلاح والإصلاح.. فأنت حقا ذاكر الله... وأنت حقا مطمئن النفس، مطمئن القلب، مؤمن آمن، مسلم مسالم، صالح مصلح.. فيا أخي المؤمن الذاكر المطمئن النفس والقلب، تذكر أنك إن عشت يوما آمنا في سربك، معافى في بدنك، عندك قوت يومك، فقد حيزت لك الدنيا بحذافيرها ذلك اليوم.. فاعمل لتكون في كل يوم من أيام حياتك المباركة كذلك... ولن يكون لك ذلك إلا بأن تحمد الله... والحمد لله لايتحقق بمجرد اللسان فقط.. بل بعقد النية وبالعزم على العمل.. وبهدف قريب صالح تحدده واضحا جليا لتعمل على تحقيقه.. وبخطوة واحدة تبدأ بخطوها لتحقيق هذا الهدف... وباحترامك لحرفة شريفة تتقنها وتكسب بها عيشك بين الناس.. تكون بكل ذلك ذاكرا لله حامدا له حقا بالقلب واللسان والجوارح...

أسأل الله لي ولك ياأخي أن يعيننا على أن نحقق إنسانيتنا بالنية الخالصة الطاهرة، والقول الصادق النقي، والعمل الصالح ظاهرا وباطنا... والعلم النافع للنفس وللناس كل الناس... وأن يجعلنا بذلك وعلى ذلك ولأجل ذلك من الحامدين لله حق الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه بالنية والقول والفعل... لتطمئن منا القلوب والنفوس.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

المرابطة في الزمان والمكان...(اقتراحات للعمل) (2/3)

■ إعداد الأستاذ: عبد الله اكديرة

المرابطة بالنية في الزمان والمكان

أيها الإخوة البررة الكرام، أسائل نفسي في غالب الأحيان: كيف يحقق الواعظ والخطيب النية حسب ماعرفناها، مع المرابطة بها في الزمان والمكان؟ ودائما ترتسم أمامي متبادرة إلى وعيي، نابضا بها قلبي هذه الآيات الكريمة: "إن الله ربي وربكم فاعبدوه، هذا صراط مستقيم" (آل عمران:51). (وأطيعوا الله ورسوله ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، واصبروا إن الله مع الصابرين" (الأنفال46). "ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما" (الأحزاب: 71.70) "ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون" (الأنفال:24) "إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"(الرعد:11) "ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم"(الأنفال:53) نعم أيها الإخوة البررة الكرام الدعاة إلى الله ... أنتم فعلا مرابطون في سبيل الله زمانا ومكانا.. رباطكم في مساجدكم أولا، وفي كل مكان تحلون به.. ورباطكم في أوقات صلواتكم ثانيا، وفي كل زمان يحل بكم فيجدكم ملتزمين بما أناط الله بكم من أمانة الدعوة إليه بالحكمة واللين والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي أحسن.. رباطكم الدائم زمانا ومكانا أن تذكروا الناس بالحقيقة الخالدة: إن الله ربهم ورب كل كائن.. تلك عقيدتهم.. وعليها تقوم شريعتهم، وبها تقبل عبادتهم.. ومن أجلها تتحقق نيتهم..وبها تسعد وترغد حياتهم، وتنعم أخراهم.. مسؤوليتكم الدائمة هي هذا التذكير.. بالقول والفعل والنية.. أنتم فيه أسوة حسنة وقدوة طيبة، أنتم عنه محاسبون بين يدي الله تعالى، وبين خلقه اليوم قبل الغد.. أيمكن أن يجد أحدنا عذرا يخدع به نفسه أوربه جل علاه أو الناس.. ومهما أخفى من سوء نية، فلا بد أن يلبسه لباس خيانته.. نسأل الله العافية.. وتلك أيها الإخوة مهمة رباطنا في الزمان والمكان..ذاك مبرر وجودنا..ذاك قدرنا.. ولنا أن نأخذ بقوة.. أو ندع علنا على رؤوس الأشهاد.. ولسنا في التزامنا ورباطنا ونيتنا الخالصة المخلصة في هذه المرابطة طلاب مال ولاجاه ولامنصب، ولاحرص لنا على شيء من ذلك.. إن نيتنا في مرابطتنا المستمرة زمانا ومكانا أن تتوثق الصلة بين من ندعوهم إلى الله وبين ربهم، فتحل السكينة رحابهم، وتغمر الطمأنينة قلوبهم.. ويعم الأمن والإيمان والأمانة ديارهم، وتنتشر الثقة بينهم في معاملاتهم..

مرابطتنا أيها الفضلاء زمانا ومكانا أن تتوجه كل طاقاتنا الوعاظ والخطباء الدعاة إلى الله في كل أحياننا وأحوالنا إلى ممارسة ماندرنا أنفسنا له..فنعرف أهدافنا ووسائل بلوغنا إليها، وماحققناه من نتائج، ومالم نحققه، ونرجو تحقيقه، فلا نيأس ولانقنط.. لايحول بيننا وبينه حتى الموت.. لأنه ليس النهاية.. وإنما هو نهاية العمل فقط وبداية الجزاء... إنه نقلة من معبر إلى مقر، من دار فناء إلى دار بقاء، حيث نقف بين يدي الديان الذي لايموت ليجزينا أجر ما نوينا ومانفذنا من نيتنا خلال رباط عمرنا القصير مهما طال، حيث لايحول بيننا وبين رحمة ربنا زمان ولامكان... لأننا عرفنا كيف نعيش بنية صادقة واعية خالصة مخلصة داخل إطار الزمان والمكان... ولاأستطيع أيها الإخوة البررة الكرام في عرضي هذا أن أتحدث عن تنظيم الزمان والمكان في عملنا الذي نحمل مسؤوليته بنية وعزم وإخلاص وصدق بتوفيق الله وتسديده:

4 توجيهات عملية عن كيفية استفادة الواعظ أو الخطيب من وقته، مرابطة منه في الزمان والمكان ابتغاء رضوان الله:

أولا: في الزمان:

1. الزمان عنصر مهم، ولعله أهم عناصر الحياة لدى الأفراد والجماعات والأمم والشعوب، يمضي دقائق وثواني ولايمكن حبسه أو استرجاعه أو تمديده... فلتحسب حساب توزيعه بتوازن وعدل حسب ماتلتزم به كل يوم من أعمال لدينك ودنياك معتبرا أن دنياك معبر لمقر آخرتك.

2 دبر تنفيذ أعمال دنياك وآخرتك حسب أسبقيتها وأهميتها وضرورة القيام بها عند حلول وقتها في اليوم.

3. خطط لنفسك خلال كل يوم من أيام حياتك الأوقات التي تخصصها لما يتأكد لديك أو يجب عليك أن تخصصها له من أعمال: مطالعة. دراسة منظمة. بحث. تدريس. وعظ. كتابة وإعداد دروس أو مواعظ أو خطب... تسلية وترفيه. زيارات وعيادة مرضى. العمل اليومي... مع مراعاة الوقت اللازم تخصيصه لكل منها..

4 تحر أن تنظم أياما من الشهر، أو أياما من الأسبوع... ساعة أو أكثر حسب الإمكان لعمل معين... مقررا مراحل متدرجة له تمضي في تنفيذها بجد واجتهاد، مدخرا له من النشاط ماترى أنه أليق به وألزم له.. مسطرا برنامجه في مفكرة خاصة، ترجع إليها يوميا، حتى لاتفاجأ بضياع فرصة أدائها في حينه، أو بضياعها نهائيا.. أو بالاضطرار إلى الافتئات على أوقات أعمال أخرى، أو حقوق الأهل والأولاد والأصدقاء...

5 عدد أوقات كل عمل تقوم به يوميا أو شهريا أو حتى سنويا، على النطاق الفردي، أو المهني، أو الدعوي، أو العائلي، أو الاجتماعي... ولا تتوان في اتخاذ المبادرة لتنفيذه في حينه بساعته ويومه، ولاتنتظر المبرر الوهمي بمواتاة الظروف الملائمة، فهي لن تأتي عفوا ولا اعتباطا، بل لابد من اغتنام الوقت والشروع في العمل كلما حل وقته، وعدم اعتبار الحالات المزاجية المتقلبة، أو الظروف الطارئة العائقة.

6. لاتعتمد على الصدفة في اختيار أعمالك:أوقاتها ومواضيعها.. بل راع في ذلك أهميتها وضرورتها واستعجال إنجازها.. وذلك في تخطيط منظم مضبوط مدروس يراعى في وضعه وتنفيذه ساعات اليوم من بدئه إلى انتهائه، وساعات النشاط والحيوية، وساعات التعب والارتخاء.. ولا بأس عند الضرورة القصوى من استغلال أوقات الراحة. أحيانا قليلة. لإتمام مالم يتم من الأعمال الهامة الضرورية، أو لإنجاز مالم ينجز منها.. مالم يكن ذلك تهاونا في حق الآخرين، أو عدوانا على أوقاتهم أيا كانت بغير عذر مقبول..

7. دبر وقتك بما ينفعك للتخطيط يوميا، بالبدء بأهم أنشطتك وأكثرها استعجالا، مع عدم إغفال الأنشطة اليومية...

8. تدبير تخطيط موسع أسبوعي وآخر شهري لما تنوي عازما الإقدام عليه من أعمال، مع عدم إغفال الأعمال اليومية وخصوصا الضرورية منها..وتحديد الأسبقيات..

9. التركيز على الضروري والأهم من الأعمال، وعدم الاستسلام لما يطرأ من العوائق، أو الحالات المزاجية..

10. التقويم المنظم المضبوط لما أنجز من الأعمال في زمانها المحدد لها، مع العمل على توفير الإمكانات لكل عمل، والسيطرة على الطوارئ، حتى لاتكون هي التي تفرض عليك بدون إرادتك تغيير برنامج عملك على أي مدى كان قريب أو متوسط أو بعيد، حتى ولو بدا لك أن هذا التغيير بإرادتك وغير مفروض عليك لأي سبب كان.. وإنما هي مرونة منك.

11. اعتبار أعمالك كلها مرابطة في الزمان تنبع من نيتك العازمة الحازمة بأنك في ذلك تنطلق من دينك الذي تؤمن به عقيدة وشريعة يؤثر في توجهك نحو هذا العمل، لتحقيق هدفك في الحياة عبادة أسسها الإسلام والإيمان والإحسان..وعدم تضييع أية لحظة من العمر في سبيل ذلك الهدف.. وهذه الآية الكريمة نصب عينيك، وفي قلبك ووعيك: "ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد، واتقوا الله، إن الله خبير بما تعملون..." (الحشر:18)... ويتبادر إلى الذهن مباشرة أن الغد هنا يعني (اليوم الآخر) وهو غد لناظره المؤمن الموقن قريب، يدعوه لتقوى الله... فيحيا على حذر شديد مما ينتظره في هذا اليوم، ولاينفع هذا التفسير السليم اعتبار (الغد) أيضا بمعناه القريب اللغوي غير المجازي.. أي اليوم الموالي، ومايعده المرء من صالح العمل له.. والحذر مما قد يحمله هذا الغد من مفاجآت غير متوقعة مما لايضر ولايسر.. أو من أمور غير مرغوب فيها متوقعة يرجى دفع أذاها.. والغد المجازي في هذا والغد بمعناه اللغوي القريب سواه.. لابد من ترقبه باستعداد وإعداد.. أي في مرابطة زمانية يقظة حذرة.. لاتنتظره سلبية.. بل بعمل يتلا في النقص والضعف، ولايغتر بما أسلف من ماضي العمل.. بل ينظر إليه نظرة ناقدة تبغي المزيد من الصلاح وتسعى إليه حثيثة واثقة حسنة الظن بالله والناس.. بل بالحياة والأحياء، في الزمان والمكان.. وهما توأمان لايفترقان...

نشاط المجلس العلمي بالرباط

■ احتضن المجلس العلمي بالرباط مساء الاثنين 2003/10/6 حفل توقيع كتاب الدكتور يوسف الكتاني "كيف تغلب الإسلام على مشكلة الفقر" وقد قدم الكتاب فضيلة العلامة عبد الله كديرة رئيس المجلس الذي نوه بالكتاب وأثنى على صاحبه منهيا تدخله بقوله: "إننا نريد من القضاء على الفقر والتغلب عليه لا تحقيق مجتمعات الاستهلاك المترف المتخم بالمادة، وإنما نريد أن تتحقق في مجتمعنا حضارة الإسلام بشقيها الروحي والمادي الحضارة التي تجمع بين الاستقرار الثابت على مبادئ الإسلام وأصوله ومواكبة سير الحياة في تغيرها وتطورها، حضارة تربي الإنسان المسلم الذي يحيا لدنياه ويعمل لأخرته".

أما صاحب الكتاب فقد ألقى عرضا ضافيا بين فيه أسباب ودواعي تأليف الكتاب وإخراجه، التي جمعها في خمسة أقسام وهي: العمل قيمة أساسية، كفالة الأغنياء لأقاربهم الفقراء، الزكاة، كفالة بيت المال،للمحتاجين عامة الصدقات الاختيارية شارحا طريقة المسلمين في التغلب على الفقر المتمثلة في الإيمان والالتزام والتأسي بالرسول (ﷺ) والتضامن والاحتكام إلى الشرع، والعمل وإخراج الصدقات في سبيل الله، والحفاظ على المال العام، والعدل والاستقامة، ومراعات المصلحة العامة ، والنصح للأمة ومخافة الله والضرب على يد الظالم، والأخذ على يد المتجاوز من الولاة والأمانة والصدق والوفاء، منهيا كلامه بالتذكير بمبادئ الخليفة عمر بن عبد العزيز التي تقول:

من أراد أن يصحبنا فليصحبنا بخمس

1. يوصل لنا حاجة من لاتصل إلينا حاجته
2. يدلنا من العدل على مالم نهتدي إليه
3. يكون عونا لنا على الحق
4. يؤدي الأمانة إلينا وإلى الناس
5. ولا يغتب عندنا أحد

وسنعود إلى الموضوع بحول الله

أما يوم الثلاثاء الموالي لتاريخه فقد استقبل المجلس العلمي وفدا صينيا يمثل المركز الإسلامي الصيني، حيث تبادل الزوار مع ثلة من أعضاء المجلس، الآراء حول طريقة عمل المجلس العلمي وأعضائه، وعلاقة المجلس مع المواطنين، والسلطات العمومية، كما تحدث الزوار عن حالة المسلمين في الصين، مشيرين إلى أن عددهم يناهز20مليونا، وهم في تزايد، منبهين إلي أن الإسلام دخل إلى الصين عن طريق التجار المسلمين، وأن هناك مساجد تعود إلى 1000سنة، ويوجد بالصين حوالي 34 مسجدا جامعا ، وأن عدد القيمين الدينيين بالصين يناهز 40 ألف، يزاولون الأعمال المتعلقة بالشؤون الدينية، وأن مسلمي الصين يقومون بالحج ويعقدون مع البلاد الإسلامية والعربية علاقات ودية تساعدهم على الرفع من كفاءتهم المعرفية بأمور الدين، كما أن دولة الصين تقوم بالمساعدة على ترميم المساجد العتيقة، وطبع الكتب الدينية المرجعية، كما تفعل مع سائر الديانات الأخرى البالغ عددها خمسة، كما أشار الوفد إلى أن عدد الجامعات الإسلامية بالصين يبلغ 9 جامعات.

آداب طالب العلم

■ إعداد الأستاذ: أعمون مولاي البشير

■ إن طلب العلم من أفضل القربات التي يتقرب بها العبد من ربه، ومن أبرز الطاعات التي ترفع منزلة المسلم وتعلي قدره عند الله عز وجل "يرفع الله الذين ءامنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وقد أمر الله عباده بالعلم والتعلم والتفكر والتدبر، وحذرهم من الجهل واتباع الهوى، وبين أن العلم الذي ينفع صاحبه يوم القيامة هو العلم الذي يخلص فيه العبد لمولاه ويتأدب فيه بأدب الإسلام، ويتخلق بأخلاق سيد الأنام. الذي كان خلقه القرآن كما في حديث عائشة رضي الله عنها، وكما في حديث ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم أدبني ربي فأحسن تأديبي وأمرني بمكارم الأخلاق. حديث صحيح رواه ابن السمعاني في أدب الإملاء، والأدب هو استعمال مايحمد قولا وفعلا، ولذلك كان اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بتأديب أصحابه بما أدبه ربه به لايقل عن اهتمامه بتعليمهم، واهتمامه بتربيتهم وتهذيب نفوسهم وتزكيتها لايقل عن اهتمامه بتوضيح أحكام الإسلام وتبيينها لهم، فالعلم بدون أدب لاينفع، والعلم الذي لاتصاحبه نفس مطهرة زكية، قد يكون حجة على صاحبه يوم القيامة، ومن هنا برز اهتمام السلف الصالح بتربية طلاب العلم، وتزكية نفوسهم، فكانوا يلقنون لهم الأدب قبل العلم، فنجد عشرات المصنفات التي صنفها هؤلاء الأجلاء في الحديث عن أخلاق طالب العلم وآدابه، وطريقة تربية المتعلمين وتأديبهم، حتى تخرجت على أيديهم أجيال مباركة حملت مشعل العلم ومعه تاج الأدب والعمل. وقاموا بنشره وبثه خير قيام، وأنشأوا حضارة إسلامية تعد مفخرة للأمة، وعزة للعلم والعلماء، واستمر الحال على ذلك عدة قرون حتى بدأ الانحدار والانحطاط، وضعفت هيبة العلماء في قلوب الناس عندما ضعفت خشية الله في قلوب العلماء، وانصرف العلماء إلى مزاحمة أهل الدنيا والتكالب على حطامها، واليوم لازلنا نلمس أثر ذلك وانصراف كثير من طلاب العلم عن التأدب بما كان عليه السلف الصالح من أدب وتواضع في طلب العلم، ولازلنا نلاحظ التسابق إلى الحصول على الشهادات والألقاب العلمية ابتغاء المكانة الاجتماعية عند الناس، وطلبا للحصول على الوظيفة التي تدر عليهم الأموال، وهكذا أصبح العلم وسيلة لاغاية، لأن طلاب العلم اكتفوا بمادرسوه في الجامعات وحصلوا به على الشهادات، وانقطع أغلبهم عن متابعة الاستزادة والتحصيل بعد التخرج، ولا أدهى من ذلك أن بعضهم يظن أن اللقب العلمي المحصل عليه يجعله من العلماء الأجلاءويوصله إلى مصاف الفقهاء الذين لايشق لهم غبار، مع أن ماحصلوا عليه من العلم، لايعدوا أن يكون جزئية من جزئيات العلم، ومن هنا كان من الواجب على طلاب العلم التناصح فيما بينهم وأن يذكر بعضهم بعضا بخشية الله، وبالتأدب بالأداب الفاضلة التي لايجوز للعالم والمتعلم التلخي عنها، ولاشك أن أعداء الإسلام يخططون لإبعاد شباب المسلمين عن العلم النافع وبخاصة العلم الشرعي الذي به حياة الأمة ويقظتها ونهضتها، ويحرصون على شغل أوقات الشباب بشتى الملهيات، وما من شيء يغيظهم أكثر من أن يروا إقبال أبناء المسلمين على طلب العلم والتأدب بآدابه ومن الأداب الأساسية التي يجب على طالب العلم التمسك بها والعض عليها بالنواجذ التحلي بالإخلاص في العمل. والتواضع لمن يتعلم منه، والعلم بعلمه، وتوقير العلماء ومجالس العلم، والصبر على طلب العلم، والتنافس فيه، كما ينبغي له أن يتحلى بالصدق والأمانة ونشر العلم وتعليمه للغير بعد التخرج من معاهد الدراسة، فهنا بعض الآداب التي هي السلاح الذي يجب على طالب العلم الأخذ به والحرص عليه، والأولى والأجدر بهذه الخصال والآداب الجامعة حامل القرآن الذي هو من أهل الله وخاصته، ومافتئ...الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين أن قاموا بنشر تعاليم الإسلام وحرصواعلى تلقين تلاميذهم من التابعين الأدب قبل العلم، ووجهوهم إلى ماينبغي لطالب العلم أن يلتزم به من الأخلاق والآداب في نفسه وفي أسرته ومع شيخه وإخوانه وجميع الناس من حوله. ثم بتحول الامر إلى التابعين ليكونوا سادة في الأدب والعلم لتلاميذهم. وهكذا كان الحال وبقي جيلا بعد جيل يتعلمون الأدب كما يتعلمون العلم، فقد روى الخطيب البغدادي عن مالك أنس قال قال ابن سيرين: كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم، وعن مالك أيضا عن ابن شهاب أنه قال: إن هذا العلم أدب الله به نبيه صلى الله عليه وسلم وأدَّب النبي صلى الله عليه وسلم أمته، أمانة الله إلى رسوله ليؤديه على ماأدي إليه فمن سمع علما فليجعله أمامه حجة فيما بينه وبين الله عز وجل، وعن إبراهيم رحبيب قال لي أبي:يابني ائت الفقهاء والعلماء وتعلم منهم، وخذ من أدبهم وأخلاقهم وهديهم، فإن ذلك أحب إلي لك من كثير الحديث. وعن زكرياء العنبري أنه قال: علم بلا أدب كنار بلا حطب، وأدب بلا علم كروح بلا جسد، وعن مالك بن أنس أن أمه كانت تقول له: اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه، هـ من تنوير الحوادث شرح الموطأ للإمام مالك، ومن هذه الأقوال يتضح لنا أهمية أدب طلب العلم ودوره المهم في حياة العالم والمتعلم والحث على توقير العلماء واحترام مجالسهم والتزام الأدب معهم، ومن تلك الآثار ماروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: "من حق العلما عليك أن تسلم على الناس عامة وتخصه دونهم بتحية، وأن تجلس أمامه ولاتشيرن عنده بيدك، ولاتغمزن بعينك، ولاتقولن قال فلان خلافا لقولك، ولاتغتابن عنده أحدا، هـ من التبيان للنووي، وعن الشعبي قال ذهب زيد بن ثابت رضي الله عنه ليركب ووضع رجله في الركاب، فأمسك ابن عباس رضي الله عنهما بالركاب، فقال تنح ياابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا، هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا (الخطيب البغدادي) وقال الحسن بن علي لابنه: يابني إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلم حسن الاستماع كما تعلم حسن الصمت، ولاتقطع على أحد حديثا وإن طال حتى يمسك، هـ من جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، وقال الإمام أبو بكر الآجري رحمه الله إذا أحب طالب علم مجالسة العلماء جالسهم بأدب، وتواضع في نفسه، وخفض صوته عن صوتهم، وسألهم بخضوع، فإذا استفاد منهم علما أعلمهم بأني قد أفدت خيرا كثيرا، ثم شكرهم على ذلك، وإن غضبوا لم يغضب عليهم، ونظر إلى السبب الذي من أجله غضبوا عليه فرجع عنه واعتذر إليهم.هـ من أخلاق العلماء للآجري. وقال الإمام النووي في المجموع: ينبغي لطالب العلم أن يتواضع للعلم والمتعلم فبتواضعه يناله، وقد أمرنا بالتواضع مطلقا، فهذا أولى، ويتفاذ لمعلمه ويشاوره في أموره، ويأتمر بأمره كما ينقاد المريض لطبيب حاذق ناصح، هـ وهناك آداب أخرى يجمل بطالب العلم الحرص عليها منها أنه إذا سمع الطالب من شيخه حديثا أو مسألة يعرفها ينبغي عليه أن لايشاركه في روايتها بل يسكت ويستمع كأنه لم يعرفها، وقد كان السلف الصالح يدركون أهمية هذه الناحية وورد عنهم روايات عديدة في ذلك فقد روي عن معاذ بن سعيد قال كنا عند عطاء بن أبي رباح فتحدث رجل بحديث فاعترض له آخر في حديثه، فقال عطاء: سبحان الله إما هذه الأخلاق؟ماهذه الأحلام؟ إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم منه، فأريهم من نفسي إني لا أحسن منه شيئا.هـ من الجامع للبغدادي وعن خالد بن صفوان قال إذا رأيت محدثا يحدث حديثا قد سمعته أو يخبر خبرا قد علمته فلا تشاركه فيه حرصا على أن تعلم من حضرك أنك قد علمته فإن ذلك خفة وسوء أدب.هـ منه.

لقد كان من أدب أشياخنا الأوائل ومن عادتهم رحمهم الله أن يسدوا نصائح غالية ثمينة لتلاميذهم عند إجازتهم وحين توديعهم إياهم، ومن تلك الوصايا والنصائح تقوى الله وخشيته، ونشر العلم وبثه، وعدم كتمانه، ومنه اغتنام أوقات الفراغ والعطل لكسب العلم والاستزادة منه بكثرة المطالعة وربط الصلة بالقرآن والعلم والمذاكرة وتعهد ذلك كله في جميع الأوقات ليلا ونهارا سفرا وحضرا، لأن طالب العلم كلما تعلق فيه وتفتحت أبوابه احتاج للمزيد منه والحرص على الاكثار منه طبقا للقرآن الكريم "وقل رب زدني علما" وروى الحاكم في المستدرك عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم منهوصات لايشبعان طالب علم وطالب مال.. أي أن كليهما يحرص على مايطلب حرصا لا يشبع منه مهما طلب، بل كلما زاد في كسبه زاد تعطشه للمزيد من شدة النهم والحرص، وما أحسن قول الشاعر:

شربت الماء كأسا بعد كأس
فما نفذ الشراب وما رويت

هذا وينبغي لطالب العلم أن يقتصد وأن يحمل في الطلب وأن يتبع منهج التوسط والاعتدال بين الروحية والمادية والموازنة بين حظ النفس وحق الرب، فالإسلام يبيح للإنسان المسلم أن يخصص لنفسه جزءا من وقته لترويح نفسه بالحلال الطيب من متاع الدنيا وزينتها ولهوها ولعبها، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لحنظلة الصحابي الذي اتهم نفسه بالنفاق لتغير أحواله في بيته مع أهله وولده عن حاله عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له صلى الله عليه وسلم "ياحنظلة لو بقيتم على الحال التي تكونون عليها عندي" لصافحتكم الملائكة في الطرقات، ولكن ياحنظلة ساعة وساعة" رواه مسلم أي فهذا هو شأن المسلم ساعة وساعة أي ساعة لربه وساعة لقلبه كما يقول المثل السائد.

ولذلك يجب على الانسان أن يغتنم الوقت ويحرص على استغلاله وعلى الاستفادة من وقته، لأن الوقت أغلى من الذهب، وطالب العلم لايضيع أوقاته في العبث لأنه لن يستطيع تعويض مافاته من الأوقات، روى البخاري في كتاب الرقاق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ" فالمسلم الذي تجتمع عليه نعمتان وهما الصحة في البدن والفراغ في الوقت ينبغي عليه أن يؤدي حقهما وأن يستغلهما بالاستفادة منهما شكرا لله في طاعة الله ونيل مرضاته، فإذا قص وفرط في ذلك فهو المغبون ذو خسران كبير، لأن الصحة يعقبها السقم، والفراغ يعقبه الشغل من تلك الثمانية التي تجري دائما على المرء كيفما كان وهي مجموعة في قول الشاعر:

ثمانية تجري على المرء دائم
ولابد للإنسان يلقى الثمانية
سرور وحزن واجتماع وفرقة
وعسر ويسر ثم سقم وعافية

فديننا الإسلامي يحرضنا على استغلال الوقت، وقت الفراغ ولاسيما وقت الشباب وقت النشاط، حيث يكون الذهن صافيا والجسم قويا والتبعات قليلة. والحق أن السفه في إنفاق الأوقات وتضييعها أشد خطرا من السفه في انفاق الأموال، ومانراه اليوم عند المسلمين من إضاعة الأوقات وقتلها . كما يقولون . مما يدمي القلب ويمزق الكبد أسى وأسفا، وقديما قال الشاعر العربي:

إن الشباب والفراغ والجدة
مفسدة للمرء أي مفسدة

وقال آخر:

لقد هاج الفراغ عليه شغلا
وأسباب البلاء من الفراغ

وهكذا ينبغي على طالب العلم أن يغتنم فترة شبابه قبل أن يذهب، لأن التعلم في أيام الشباب كمال الذهن وراحة البال يجعل الحفظ أرسخ وأقوى قال الإمام الشافعي رحمه الله:

ومن فاته التعليم وقت شبابه
فكبر عليه أربعا لوفاته

هذه بعض التوجيهات والنصائح جمعتها لنفسي أولا ولإخواني وقد نقلتها بتصرف من مختلف المصادر الموثوقة، فهي . وإن جاءت متأخرة بالنسبة لسن بعضنا . لكنها نحن في حاجة إليها لكي نزود بها أبناءنا وبناتنا وشباب المجتمع الذين هم في سن التربية والتوجيه والتهذيب، لأن الأدب يسبق العلم دائما، وإن مانراه اليوم . مع كامل الأسف . في وسط شبابنا من فقدان الأدب عند البعض وقلته عند البعض الآخر لهو أكبر معضلة اجتماعية نعاني منها، ونقاسي من نتائجها الوخيمة كل يوم وسط المجتمع الإسلامي عند كبار الأعمار من الناس المسلمين، ولذلك عمدت إلى جمع هذه الفذلكة من النصوص حول أدب طالب العلم، فإن كنت مصيبا فيما قصدته فذلك توفيق ومنة من الله تعالى، وإلا، فمن عجزي وتقصيري وقلة بضاعتي، راجيا من إخواني الأساتذة الصفح والإغضاء عن عثرات اللسان والقلم، وحسبي أني حاولت مزاحمة فرسان أهل هذا الشأن، والله تعالى هو المستعان، وعليه المعول والتكلان،

إن لم يكن مثلي يسيء ومثلكم يغضي فأني مكارم الأخلاق؟

أولوا العزم من الرسل

■ الأستاذة: نبوية الناصري

سيدنا محمد (ﷺ)

(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيدا)
صدق الله العظيم

من سورة يس :﴿يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم﴾، إلى قوله تعالى : ﴿فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم، من هذه الآيات فلم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابا، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب. فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال لهم : ما تنتظرون هاهنا؟ قالوا محمدا. قال خيبكم الله، والله لقد خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابا، وانطلق لحاجته : أفما ترون ما بكم؟ فوضع كل رجل منهم يده على رأسه، فإذا عليه تراب. ثم أخذوا يتطلعون فيرون عليا على الفراش مسجى ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقولون : والله إن هذا لمحمد نائما، عليه برده فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا.

فقام علي رضي الله عنه من الفراش. فقالوا :والله لقد كان صدقنا الذي حدثنا . ثم خرجوا مذعورين مبهوتين مما حدث !!

الهجرة إلى المدينة

أذن الله لرسوله في الهجرة، بعد أن تجمعت قريش حول داره تحاول أن تقتله ﴿ وإذا يمكر بك الذين كفروا، ليثبتوك، أو يقتلوك، أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾.

خرج النبي صلى الله عليه وسلم، فألقى عليهم التراب، ومضى إلى بيت صاحبه (الصديق) فركبا إلى غار ثور، وهو جبل بأسفل مكة، فدخلاه واختبآ فيه ثلاثة أيام،

وأنزل الله السكينة والأمن على نبيه وصحبه في الغار، وقال النبي لأبي بكر : «لاتحزن إن الله معنا» وكانت قريش تنهب الأرض نهبا وتتبع الآثار وتعرض مائة ناقة لمن يرده عليهم. وتصل قريش إلى باب الغار ثم ترتد عنه وقد غشاه العنكبوت، وباض على بابه الحمام : ﴿ألا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه : لا تحزن إن الله معنا. فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا﴾.

وبعد ثلاثة أيام وقد ضل سعي الكفار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه، خرج النبي ورفيقه أبو بكر من الغار ليلة الاثنين، الرابع من شهر ربيع الأول، وركبا راحلتيهما، إلى حيث أمر الله، وكان معها عامر بن فهيرة، مولى أبو بكر، وعبد الله بن أريقط دليلهما.

وفي ضحى يوم الإثنين المبارك الموافق الثاني عشر من ربيع الأول قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه المدينة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، وذلك بعد أن بعثه الله عز وجل بثلاث عشرة سنة

ويقول رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما سمعنا بخروج رسول الله من مكة كنا نخرج إذا صلينا الصبح إلى ظاهر حرتنا ننتظر رسولنا الكريم، فوالله كنا لا نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال. فإذا لم نجد ظلا دخلنا وذلك في أيام حارة حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم جلسنا كما كنا نجلس حتى إذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا . فكان أول من رآه رجل من اليهود، فصرخ بأعلى صوته : «يا بني قيلة (أي الأنصار) هذا جدكم قد جاء» فخرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في ظل نخلة، ومعه أبو بكر رضي الله عنه في مثل سنه وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله فقام أبو بكر، وأظله بردائه، فعرفناه بذلك، ثم استقبلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنشيد الاتي :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة مرحبا يا خير داع

سار النبي صلى الله عليه وسلم في طريقه على ظهر ناقته في جوف المدينة بين حفاوة المهاجرين والأنصار البالغة، وترحيبهم العظيم، فكانت كل قبيلة تحاول أن تعرض عليه نفسها، ليأوي إليها وتنادي : هلم إلى المتعة والقوة والثروة يا رسول الله. فيقول لهم : خيرا. وناقته ماضية في طريقها، وقد أرخى زمامها. فلم تزل سائرة به حتى بركت بمربد بني سهل وسهيل من بني النجار. ومن مبركها بنى النبي مسجده وعمل فيه بيديه. ثم بنى مساكنه إلى جواره . وأقام رسول الله ببيت أبي أيوب الأنصاري سبعة أشهر وبعد أيام من وصوله لحق أهله. صلى الله عليه وسلم . وأهل أبي بكر، ثم كانت هجرة علي. كرم الله وجهه. .

بيعة العقبة الثانية :

وفد يثرب يقدم قاصدا مكة وبين صفوفه ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان ممن أسلم وآمن بالدين الجديد، لا ينهزهم إلا شوقهم للقيا نبي الله صلى الله عليه وسلم، ومبايعته على النصرة وتحت جناح الليل، وبعد مضي ثلثه الأول، كان التسلل خفية، للقاء الموعود، عند العقبة حيث الجمرة الأولى من منى، حسب الاتفاق المضروب، وبينا هم كذلك إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه رسلم، ومعه العباس عمه . وهو بعد على دين قومه ، أما أبو بكر وعلي فقد وقف كل منهما عينا على الطريق، لحراسة الاجتماع السري، وقبل أن يسرد النبي . صلى الله عليه وسلم . بنود البيعة أكد العباس على خطورتها، وبعد أن سردها فقد كرر التأكيد على خطورة البيعة، الأنصاريان السابقان : العباس بن عبادة، وأسعد بن زرارة، لكن الأنصار الذين عرف الإسلام طريقه إلى قلوبهم، ما كادوا يستمعون إلى قولهما حتى بادروا إلى مصافحة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قائلين : والله لا نذر هذه البيعة، ولا نستقيلها . وبعد أن تمت البيعة، قام الأنصار تنفيذا لطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، . باختيار اثنى عشر نقيبا، حتى إذا تمت البيعة، اكتشف شيطان المعاهدة فصاح على قريش يستفزهم، وسعت قريش لمطاردة المبايعين، لقتل حركة تعلم جيدا شدة خطورتها، لكن الله سترهم، ولم تظفر قريش إلا بسعد بن عبادة الذي أجاره المطعم بن عدي، والحارث بن حرب بن أمية، فعاد سالما إلى ركبه، وعاد الجمع الميمون إلى المدينة ينشرون دعوة الله، ويهيئون يثرب لإقامة دولة الإسلام الأولى في الأرض، ويستعدون لاستقبال المهاجرين، ونبيهم. صلى الله عليه وسلم، .

كانت بيعة العقبة الأولى على الإيمان والطاعة، أما هذه البيعة فقد كانت على الجهاد والقتال كذلك، وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم . بنود هذه البيعة في نقاط خمس :

الأولى : السمع والطاعة في النشاط والكسل.
الثانية : النفقة في اليسر والعسر.
الثالثة : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
الرابعة: أن يقوموا في سبيل الله لا تأخذهم في الله لومة لائم.
الخامسة : أن ينصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم، . إذا قدم إليهم، ويمنعونه مما يمنعون منه أنفسهم،وأزواجهم، وأبناءهم.

الهجرة إلى يثرب

كانت بيعة العقبة الثانية أخطر انتصار حققته الدعوة منذ ولادتها، فقد صار لها اليوم حصن ووطن، وسط صحراء العرب الواسعة، وكما أدرك هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، . فأسرع في إرسال المسلمين إلى يثرب ليبادروا إلى تأسيس المجتمع الجديد بها، فإن قريشا قد انتبهت لذلك أيضا، فأخذت تحول بينهم وبين الهجرة، وفي ظل هذا المناخ القلق كان المسلمون يلوذون فرارا إلى يثرب، لا يحملون معهم سوى إيمانهم بالله ويقينهم به، مخلفين وراءهم بيوتهم وأموالهم، وتجارتهم ومصالحهم، بل بعض أهليهم في العديد من الأحيان. وإن هجرة كهجرة أبي سلمة وزوجته، وكهجرة صهيب الرومي، أو هجرة عياش بن أبي ربيعة، لتوضح لنا ما كان المسلمون يلاقونه من كيد قريش حتى يمنعوهم من الهجرة، لكن عناية الله ورحمته حالت دونهم ومايبغون، فما مضى بعد بيعة العقبة إلا شهران وبضعة أيام حتى لم يبق بمكة من المسلمين إلا رسول الله، وأبو بكر، وعلي . أقاما بأمره لهما ، ومن احتبسه المشركون كرها.

محاولة قتل النبي محمد صلى الله عليه وسلم، :

لما فشلت سياسة كفار قريش حيال محمد صلى الله عليه وسلم، ودعوته النامية، ولا سيما بعد حادث الإسراء والمعراج . لم يروا بدا من اتباع سياسة جديدة تهدف إلى قتل محمد والتخلص منه، فاجتمعوا للمرة العاشرة في مؤتمر كبير وخطير، وحضر إبليس مؤتمرهم الإجرامي، في زي أعرابي من نجد، ائتمروا ليرسموا خطة قتل محمد بطريقة مأمونة العاقبة.

اقترح إبليس أبو الشياطين أن يختاروا من كل قبيلة فتى شجاعا، وفي لحظة واحدة ينزل كل الفتيان عليه بسيوفهم ضربة واحدة. فيفترق بذلك دمه بين القبائل. فأطربهم الرأي، وأقسموا باللات والعزى، واتفقوا على تنفيذه.

فأتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له : لاتبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه. فلما جاء الليل بظلامه اجتمعوا على باب محمد يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه. فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مكانهم قال لعلي بن أبي طالب نم على فراشي، وتمسح ببردي هذا الحضرمي، الأخضر فنم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، ينام في برده ذلك إذا نام.

وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم،، فأخذ حفنة من تراب في يده وجعل الله تعالى على أبصارهم غشاوة حتى لا يراه أحد، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو الآيات

خواطر ومواقف

■ الأستاذ: محمد الخضر الريسوني

الرجل والمرأة : جناحا المجتمع

قالت وعيناها تشرقان بالدموع
. طلقني زوجي بدون سبب ولي معه ستة أطفال . أربع بنات وولدان وعلمت فيما بعد أنه اقترن بامرأة تعمل كاتبة معه في الإدارة وسكتت لحظة ، ثم توجهت إلي بالسؤال الملح:
. هل هذا معقول أن يتصرف معي زوجي بهذه الطريقة الظالمة وبيني وبينه عشرة عمره تمتد إلى 20 عاما فأي حق لي بعد هذا الظلم الذي لحقني أنا وأولادي . فلمن اشتكي؟ وفيما كنت أفكر في طمأنتها كانت وسائل الإعلام تتناقل أخبارا عن اجتماعات أعضاء اللجنة الاستشارية المكلفة بمراجعة مدونة الأحوال الشخصية وقلت أجيبها:
قريبا إن شاء الله ستسمعين أخبارا سارة عن حقوق المرأة وبعد أيام على هذا الحوار جاء خطاب جلالة الملك محمد السادس في افتتاح الدورة الأولى من السنة الثانية من الولاية التشريعية السابعة للبرلمان الذي كان من أهم بنوده:
. جعل مسؤولية الأسرة تحت رعاية الزوجين.
. جعل الولاية حقا للمرأة الرشيدة تمارسه حسب اختيارها ومصلحتها .
. مساواة المرأة بالرجل بالنسبة لسن الزواج بتوحيده في ثمان عشرة سنة.
. لا يأذن القاضي بالتعدد إلا إذا تأكد من إمكانية الزوج في توفير العدل.
. توسيع حق المرأة في طلب التطليق لإخلال الزوج بشرط من شروط عقد الزواج.
. المدونة قانون للأسرة أبا وأما وأطفالا.
وأسرعت إلى الهاتف للاتصال بتلك المرأة المظلومة لأزف إليها النبأ السار، وهكذا يزاح عبء ظالم قاسي عن المرأة المغربية، فكثير من الرجال يظلمونها ولا يقيمون أي وزن لحقوقها وكرامتها، وأعرف زوجا لا يتورع من إهانة زوجته وضربها بسبب مطالبتها له بالاهتمام بشؤون أولاده بدلا من قضاء الليالي غالبا عنهم ، كما تعرفت على أسرة معذبة بسبب إدمان الزوج على الخمر وممارسة القمار الشيء الذي حرم الأسرة والأولاد من حقوقهم. وفي البادية تتعرض المرأة لشتى صنوف القهر ، وتطالعنا وسائل الاعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية بحوادث الاغتصاب والتعذيب التي تتعرض لها المرأة ، لذلك كان من الحكمة والعدل أن تتم مراجعة المدونة وألحاح جلالة الملك على الإسراع بإنجازها في أجل محدد وفي وقت لا يمكن للمجتمع أن ينهض ويتقدم بدون عمل المرأة والرجل معا وتحمل مسؤوليتهما جنبا إلى جنب في التربية والتعليم والعيش الكريم.
لقد قال شاعر العراق الزهاوي منذ حوالي خمسين عاما:
الشعب فريقان أنثى وذكر وهل الطائر بجناحيه إلا يطير؟
فجناحا كل مجتمع هما الرجل والمرأة ، ولن يصعد الطائر إلى الفضاء بجناح واحد.
إن النساء شقائق الرجال فمن واجب الرجل احترام زوجته ومعاملتها بالمعروف ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل العالي والأسوة الحسنة في حسن معاملته . قالت عائشة : ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده امرأة له ولا خادما قط.
وبخصوص مشكل الطلاق قال عنه رسو ل الله : ما أحل الله شيئا أبغض إليه من الطلاق وقوله : أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة.
إن القاعدة الصحيحة سعادة الأسرة وهنائها ما قاله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لامرأة خاصمت زوجها إليه وصرحت له بأنها لا تحبه فقال لها: إذا كانت إحداكن لا تحب الرجل منا فلا تخبره بذلك فإن أقل البيوت ما بني على المحبة ، وإنما يتعاشر الناس بالحسب والاسلام.
إن صدور مدونة الأحوال الشخصية بعد تعديلها من طرف لجنة تضم نخبة من رجال الفقه والعلم والدين ومصادقة أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس على بنودها المعدلة لمن شأنه الرفع من كرامة المرأة ودفعها للإسهام في بناء الوطن وتنميته وتطويره وتقدمه في عالم لا يرحم الجهل ولا التخلف.

معجزة الإسراء والمعراج

■ الأستاذ : أحمد تشيكرت

■ كلما أقبل شهر رجب من كل عام وكلما وصلت ليلة السابع والعشرين منه إلا واستحضر معها المسلمون في كل بلد وفي كل مكان ذكرى من أعظم الذكريات الدينية ألا وهي ذكرى معجزة الإسراء والمعراج.

ويقصد بالإسراء الرحلة المباركة التي أكرم الله فيها نبيه (محمد صلى الله عليه وسلم) من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالقدس الشريف أما المعراج فهو ما عقب ذلك من العروج به إلى طبقات السماوات العلى ، ثم الوصول به إلى سدرة المنتهى.

ومن المسلم به عند الكلام على حادثة الإسراء والمعراج أنها معجزة وقعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعند ما نقول معجزة فنعني بذلك تعطيل القوانين الكونية ولا مجال لاستخدام العقل فيها.

أنواع المعجزات:

لو تتبعنا المعجزات التي أجراها الله سبحانه وتعالى على أيدي رسله الكرام لأمكن تصنيفها إلى صنفين:

الأول المعجزات المادية: وهي المعجزات الموئية والملموسة كانشقاق القمر ونبع الماء بين أصابع الرسول ، صلى الله عليه وسلم، ورد العين المقلوعة وغير ذلك؛ من المعجزات.

الثاني المعجزات المعنوية : وهي المعجزات التي لا ترى بالعين الباصرة ولا تلمس باليد ويكون مجالها الفكر والقلب والوجدان ويأتي القرآن الكريم في قمة المعجزات المعنوية فهو أعظمها أثرا وهو المعجزة الباقية والخالدة لرسول الله (ﷺ) ، ثم معجزة الإسراء والمعراج.

أهداف المعجزة

كل معجزة تحدث لنبي لابد وأن يكون لها هدف عام وخاص.

أما الهدف العام ، فهو إقامة الدليل على أن الرسول الذي ظهرت على يديه المعجزة صادق فيما يدعيه.

وأما الهدف الخاص فيتمثل في الأثر الذي يتركه هذه المعجزة ،، ويقدر ما يعظم الأثر بقدر ما تعظم المعجزة.

معجزة الإسراء والمعراج.

معجزة الإسراء والمعراج رواها البخاري ومسلم بطولها وفيها أنه صلى الله عليه وسلم أتى بالبراق وهو دابة فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند بصره وفيها أنه (ﷺ) دخل المسجد الأقصى فصلى فيه ركعتين ثم أتاه جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاختار عليه السلام اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة، وفيها أنه (ﷺ) عرج به إلى السماء الأولى فالثانية فالثالثة وهكذا حتى ذهب إلى سدرة المنتهى وأوحى الله إليه عندئذ ما أوحى.. وفيها فرضت الصلوات الخمس على المسلمين ، وهي في أصلها خمسون صلاة في اليوم والليلة ثم نقصت إلى خمس.

. موقع الإسراء والمعراج من الأحداث التي عاشها الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة:

في السنة العاشرة من البعثة بلغ الحزن من الرسول صلى الله عليه وسلم مبلغا كبيرا فقد ماتت زوجته خديجة ومات عمه أبو طالب وفقد بذلك نصيرين قويين له ضد طغيان قريش وبعد المشاق والمعاناة في سبيل اصلاح قومه وجد أن دعوته في مكة توشك أن تذهب صرخة في واد فقرر الذهاب إلى الطائف وهناك دعا أهلها إلى الإسلام ، ولكن القوم أعرضوا عن دعوته، وتهجم عليه السفهاء يمطرونه بالحجارة والشتائم حتى سال الدم من عقبيه ووسط هذه المحن ناجى ربه بدعائه المشهور فاستجاب الله دعاءه وأكرمه بما لم يكرم به نبيا قبله إلى حضرته القدسية في رحلة مباركة بمسراه من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى فقال جل من قائل« سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من ءاياتنا إنه هو السميع البصير» سورة الإسراء / الآية 1. وبالمسجد الأقصى التقى الرسول (ﷺ) بالأنبياء جميعا وصدقوا برسالته وآمنوا بدعوته وصلى بهم إماما ، فكان ذلك إجماعا من الأنبياء بمتابعته صلى الله عليه وسلم على رسالته الكبرى للإنسانية وإصلاح البشرية.

أبعاد معجزة الإسراء والمعراج

معجزة الإسراء والمعراج تحمل أبعادا كثيرة جديرة بالاهتمام والدراسة والتحليل . نقتصر منها على مايلي:

1 . البعد السياسي : إن قيادة العالم حين حدوث معجزة

الإسراء والمعراج كانت بيد بني إسرائيل . ولكن اليهود لم يعودوا أهلا للقيادة فكان لابد من انتزاعها منهم، وتسليمها إلى سلالة إسماعيل . وبذلك انتقل ميراث النبوة إلى محمد (ﷺ) وكان دينه آخر الأديان ورسالته خاتمة الرسالات ، وهكذا ربطت رحلة الإسراء والمعراج بين عقائد التوحيد من لدن إبراهيم إلى محمد خاتم النبيئين ، وهكذا ما بينه الله بقوله في كتابه الكريم: « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه» سورة الشورى / الآية 13. وقاله صلى الله عليه وسلم: مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيئين » حديث متفق عليه.

ثم إن إسراء رسول الله (ﷺ) إلى بيت المقدس وعروجه منه إلى السماوات وصلاته في بيت المقدس ، يعني أن الله تعالى جعل لبيت المقدس جزءا من أراضي الدولة الإسلامية، وقد سلم الأنبياء بهذا، ومن القواعد الفقهية ان صاحب الملك أحق بالإمامة من غيره . فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إماما بالأنبياء في بيت المقدس دليل على أنه صاحب الحق في بيت المقدس دون غيره. وأن أمته صاحبة الحق دون غيرها من الأمم الأخرى .

2 . البعد الاجتماعي : صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأنبياء على اختلاف قومياتهم يدل على أن الدولة الإسلامية تظل بظلها جميع المؤمنين ولا تفرق بين أحد منهم، وأن فرصة التفوق متاحة للجميع وعلى قدر متساو وبذلك تكون معجزة الإسراء والمعراج قد وضعت أساسا جديدا لبناء المجتمع الجديد في ظل مبادئ دولة الإسلام.

3 . البعد الروحي : معجزة الإسراء والمعراج حدثت على أعقاب سلسلة من المآسي حلت برسول الله صلى الله عليه وسلم منها موت زوجته خديجة التي كانت تقوي فيه روح التصميم للمضي في طريق الله، وموت عمه أبي طالب الذي كان يدفع عنه أذى المشركين ، حتى سمي ذلك العام عام الحزن ، وكأن الله أراد أن يسلي رسوله فكانت هذه الرحلة المباركة ، أمدته بقوة ونشاط ،. وكان في افتراض الصلاة في السماء من المعاني الروحية ما يجعل الإنسان ساعيا ما استطاع إلى القرب من الله ، وأخيرا نتسائل:

هل كان الإسراء والمعراج ضروريا؟

إن حادث الإسراء والمعراج التي امتحن الله بها الناس ، فآمن بها من آمن وكذب بها من كذب ، وكانت قبل الهجرة بسنة كان ضروريا قبل إعداد الدولة الإسلامية في المدينة المنو رة ليعلم من من العناصر التي يمكن الاعتماد عليها في بناء الدولة ، ومن يجب استبعاده فلا توكل مهمة لإنسان لا يستحقها . ولما أذن الله لرسوله بالهجرة إلى المدينة المنورة وأمره بإقامة دولة الإسلام فيها كان سهلا على رسول الله وضع الرجل المناسب في المكان المناسب ، ولذلك أتت الدولة أكلها في اقصر وقت عرفه التاريخ.

أنشطة فرع الناظور

برنامج شهر رمضان الأبرك

عاد مكتب فرع رابطة علماء المغرب بالناظور، إلى مزاولة أنشطته المعتادة ، وهكذا سطر مجموعة من الندوات والدروس بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج غطت مختلف مساجد بلدية الناظور ومدينة مليلة والجماعات المجاورة ، وهي ندوات لاقت نجاحا كبيرا والحمد لله على فضله.

واستعدادا لشهر رمضان الأبرك ، عقد مكتب الفرع لقائين اثنين لتسطير أنشطة شهر رمضان المبارك وهكذا تم الاتصال بأعضاء الرابطة الذين ملأوا بطائق رغباتهم في المساجد التي يريدون إلقاء الدروس بها، وبعد أن تم تفريغ هذه الرغبات في جدول إحصائي تمت تغطية ما مجموعه 69 مسجدا بمشاركة أزيد من خمسين واعظا في خمس بلديات تابعة لعمالة الإقليم وتسع جماعات قروية ومساجد بمدينة مليلية ، كما تم تسطير مجموعة من الندوات والمحاضرات المسجدية التي تتناول مجموعة من المواضيع الهامة كمقاصد الصيام وذكرى وفاة محمد الخامس رحمه الله وذكرى غزوة بدر الكبرى وذكرى فتح مكة وليلة القدر وزكاة الفطر.

. تغطية أزيد من 69 مسجد في خمس بلديات ومدينة مليلية .
. تغطية تسع جماعات قروية.
. أزيد من سبع ندوات مسجدية.

وستتم هذه الأنشطة كما تمت سابقتها بتنسيق مع المجلس العلمي لإقليمي الناظور وتازة، وكذا مع نظارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

كتاب الصيام (1/8)

■ الفقيه الأستاذ محمد بن لحسن الحسني

■ تعريفه : الصوم في اللغة هو ترك الشيء والكف عنه. قال تعالى : « إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا» مريم 35 اي صمتا وتركا للكلام.

والصوم في الشرع. هو الإمساك عن شهوتي البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية التقرب والعبادة وصوم شهر رمضان من الأركان الخمسة التي بني عليها الإسلام.

تاريخ فرضيته : فرض الله تعالى الصيام على أمة سيدنا محمد، كما فرضه على الأمم قبلها بقوله تعالى : «يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون» البقرة : 182.

وذلك يوم الإثنين في شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة النبوية المباركة.

فضائله : للصيام فضائل وفوائد كثيرة، فمن فوائده الروحية : أنه يعود على الصبر ويقوى عليه ويعلم ضبط النفس، ويربيها على ملكة التقوى التي هي العلة البارزة من الصوم. قال تعالى : «...لعلكم تتقون ...» ومن فوائده الاجتماعية أنه يعود الأمة على النظام والاتحاد، وحب العدل والمساواة، وينمي في المومنين عاطفة الرحمة وخلق الإحسان ويصون المجتمع من الشرور والمفاسد كلها. ومن فوائده الصحية : أنه يطهر الأمعاء ويصلح المعدة، وينظف البدن من الفضلات والرواسب. ويخفف من وطأة السمن : روى السيوطي وقال : حديث حسن : «صوموا تصحوا» وروى أحمد وغيره «الصيام جنة من النار، كجنة أحدكم من القتال» وروى الشيخان : «من صام يوما في سبيل الله عز وجل زحزح الله وجهه عن النار بذلك اليوم سبعين خريفا».

وقوله صلى الله عليه وسلم : «إن في الجنة بابا يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم. يقال : أين الصائمون؟ فيقومون. لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد» متفق عليه .

وروى الحاكم وصححه وابن ماجة « أن عند فطره دعوة لا ترد» (منهاج المسلم ص : 303)

وقال الفقيه الطاهري رحمه الله فيما يعين على الصيام :

ثلاثة على الصيام يقدر
فاعلها : قيلولة تسحر
والأكل قبل الشرب والبزار قد
رفع للنبي بجيد السند

أنواعه : تعرض للصيام جميع الأحكام
فالواجب : صيام رمضان وقضاؤه وصيام الكفارات.

والسنة : صيام يوم عاشوراء : وهو يوم عاشر المحرم وقيل التاسع.

والمستحب : الصيام من الأشهر الحرم، وشعبان، والعشر الأول من ذي الحجة، ويوم عرفة لغير الحاج، وستة أيام من شوال، وثلاثة أيام من كل شهر، وصوم الاثنين والخميس.

والنافلة : كل صوم لغير وقت ولاسبب يوجب أو يمنع الصوم فيه.

والحرام : صيام يوم الفطر والأضحى وأيام التشريق، الثلاثة التي بعد العيد، ورخص للمتمتع في صيام أيام التشريق، ورخص في صيام الرابع في النذر والكفارات، كما يحرم صيام الحائض والنفساء، وصيام من يخاف على نفسه الهلاك بصومه.

والمكروه : صوم الدهر. صوم يوم الجمعة وحده، إلا أن يصوم يوما قبله أو يوما بعده، وصوم السبت وحده، وصوم يوم عرفة للحاج الواقف بعرفة. وصوم يوم الشك، يوم آخر شعبان بنية الاحتياط، إذا لم يظهر الهلال وقيل إن كان الغيم فالمختار فيه الإمساك، ويجوز صومه بنية التطوع كما إذا كانت عادته صيام الاثنين والخميس فصادف أحدهما.

وأشاد بعضهم إلى الأيام التي ينبغي صومها بقوله :

وهاك سبعة من الأيام
نص عليها الشرع بالصيام
فثالث المحرم اسمع جاء
وعنه أيضا يوم عاشوراء
وثالث من رجب المعظم
والسبع والعشرون منه فاعلم
كذا من شعبان يوم النصف
والخمس والعشرون فافهم وصفي من
شهر ذي القعده كذاك التاسع
من شهر ذي الحجه بلا منازع

وجعل لبعضهم يدل ثالث رجب أول ذي الحجة أو ثامنه.

قال : ابن عاشر رحمه الله :

صيام شهر رمضان وجبا
في رجب شعبان صوم ندبا
كتسع حجة وأحرى الآخر
كذا المحرم وأحرى العاشر

ثبوت الهلال : يعرف دخول رمضان بأحد أمرين.

1 . رؤية الهلال.
2 . إتمام شعبان ثلاثين يوما.

فأما الرؤية : فيثبت بها بالنسبة لمن رآه بعينه ... وأما غير الرائي فيثبت عنده بوجهين :

1 . إما بالخبر المنتشر المستفيض الذي يفيد اليقين أو الظن القريب منه.
2 . وإما بشهادة عدلين حرين ذكرين (هذا هو المشهور) وكذلك عيد الفطر والمواسم الأخرى كذي الحجة والمحرم ... فإذا أخبر القاضي أو الإمام أن الهلال ثبت عنده بالاستفاضة أو بشهادة عدلين ... وجب الصوم. فإن لم يكن إمام ولا قاض، أو كان ولكنه لا اعتناء عنده بالهلال، فيكفي الخبر بمن يثق به الإنسان أو برؤية نفسه فيصوم بذلك ويفطر. ويحمل على ذلك من يقتدي به . فإن نقل الخبر إلى بلد آخر فلنقل أربع صور :

1 . استفاضة عن استفاضة .
2 . شهادة عن استفاضة .
3 . استفاضة عن شهادة.
4 . شهادة عن شهادة .

فيثبت إن ثبت ذلك أيضا عند حاكم عام أو خاص (على المشهور) فإذا نقل العدل الواحد عن الحاكم أو عن الاستفاضة لزم الصوم أيضا لأنه من باب الخبر لا من باب الشهادة، كما يخبر الرجل أهل بيته فيلزمهم الصيام روى الخمسة وصححه ابن حبان أنه صلى الله عليه وسلم أخبره أعرابي برؤية الهلال، فأمر بالصيام، ولم يسأله النبي صلى الله عليه وسلم إلا عن الشهادتين، فيقبل خبر المرأة والعبد، والناس محمولون على العدالة، والصوم والإفطار سواء وحديث لا إفطار إلا بخبر شاهدين ضعيف. (أنجح المساعي ص : 59) اهـ منه. وإذا كان إمام يرى ثبوت الهلال بالحساب فأخبر به لم يتبع لإجماع السلف على خلافه.

وإذا شهد عدلان في مصر كبير وانفردا عن جم غفير، فالمشهور في المدونة قبول شهادتهما ولكن إذا عد الناس ثلاثين يوما ونظروا ليلة إحدى وثلاثين، والسماء مصحية فلم يروا هلال. فقال مالك في المدونة : (هما شاهدا سوء) فيجب تكذيبهما وقضاء يوم إذا كانت شاهدتهما لرؤية هلال شوال وعد الناس ثلاثين يوما ولم يروا هلال ذي القعدة، وكذلك يفسد الحج إذا شهدا بهلال ذي الحجة. وإن جاءا يشهدان هما أيضا برؤية الهلال الموالي فإنهما لا يقبلان لا تهامهما بترويج شهادتهما الأولى.

وبالنسبة للجماعة المستفيضة لابد أن يدعي كل واحد منهم الرؤية لا الإخبار والسماع من غيره، كما يقع لكثير من عوام الناس، ولا تشترط فيهم عدالة ولا حرية ولا ذكورة ... وإن حكم الحاكم بثبوته برؤية عدل واحد . وهو مخالف لنا في المذهب . وجب العمل عليه نظرا للحكم به وتبعا له.

ومن رأى الهلال وحده وجب عليه الإمساك، ووجب عليه أن يخبر الإمام إن أراد قبول شهادته لعله ينضم إليه ثان فتكمل الشهادة، وإن أفطر منتهكا بعد رؤيته فعليه القضاء والكفارة، وإن أفطر متأولا فكذلك على المشهور. فإن خاف أن يخبر به . بعد أن رآه، عمل به وحده وكتم أمره، فيصوم خفية في أول رمضان، ويفطر بالنية في شوال .. إن خاف أن يطلعوا عليه. وكذلك إن رأى هلال ذي الحجة وجب عليه أن يقوم وحده دون الناس. فإن كان له عذر في الإفطار كالسفر والحيض أظهر فطره لذلك .

وإن رئي الهلال بعد الزوال فهو لليلة القابلة اتفاقا، ورن رئي قبله فكذلك على الأصح.

الإتمام :

وأما الإتمام، فيجب إتمام شعبان ثلاثين يوما، إن غم الهلال، ولو غم شهورا متوالية. لما في الموطأ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «الشهر تسعة وعشرون يوما، فلا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه، فإن غم عليكم فاقدروا له» وفي رواية : «فأكملوا العدة ثلاثين» ومعنى غم عليكم : أي ستر عنكم بالغيم، وقيل معناها التبس العددمن قبل الشك في الرؤية. وسواء كان المعنى هذا أو ذاك فلا يعمل على قول المنجمين لا بالكمال ولا بالنقص لأن الشارع أناط الصوم والفطر والحج برؤية الهلال لا بوجوده على فرض صحة قول المنجم. فإذا غمت السماء ليلة ثلاثين من شعبان ... ولم يظهر الهلال فصبيحته هو يوم الشك. وأما لو كانت السماء مصحية فلا يكون يوم شك لأنه إذا لم تثبت رؤيته كان من شعبان جزما، ويكره صيام يوم الشك بنية الاحتياط على أنه إن كان من رمضان اكتفى به، وحتى لو صامه فإنه لا يجزئه عن رمضان لعدم جزم النية إن تبين أنه منه، ولكن ينبغي الإمساك حتى يستبرئ الخبر، فإن جاء الخبر بثبوته نهارا وجب الإمساك بقية اليوم. ووجب قضاؤه سواء كان أفطر متأولا . وإن أفطر بعد الثبوت منتهكا فعليه القضاء والكفارة، وإن أفطر متأولا ظانا أن الإمساك لا يجب فكذلك على المشهور، كما سبق، ويجوز صيام يوم الشك قضاء لرمضان الفارط، أو لعادته في الخميس والاثنين كما سبق، أو لنذر عام يكمل به أيامه، ولايجوز نذره بعينه من حيث إنه يوم الشك فإنه لايلزم نذر معصية. فإن تبين أنه من رمضان لم يجزه إن صامه لا عن رمضان الحاضر، ولا عن غيره قال ابن عاشر رحمه الله :

ويثبت الشهر برؤية الهلال
أو بثلاثين قبيلا في كمال

والأسير ونحوه ممن لا تكنه رؤية الهلال ولا استخبار ثقة. فإن غلب على ظنه شهر صامه.(وذكر فيها ميارة أقوالا كثيرة ص : 329) ودين الله يسر .

رسالتان لأهل المغرب من المولى إدريس الأكبر يدعوهم فيها لنصرته

■ أبو بكر

أثبت مؤرخ المملكة العلامة عبد الوهاب بن منصور في الجزء الأول من الوثائق الصادرة عن مديرية الوثائق الملكية الصادر سنة 1976 بحثا قيما للعلامة المرحوم علال الفاسي تحت عنوان « "المولى إدريس الأكبر" ، وثيقة تاريخية عن دعوته لم تنشر قط، ولم تعرف لدى الذين كتبوا عنه من المغاربة» استقاها من مخطوط لأحد أئمة الزيدية باليمن، على أن نقدم لاحقا بحول الله دراسة للأسباب التي دفعتنا إلى نشر الرسالتين.

دعوة الإمام إدريس المرسلة إلى المغاربة

بسم الله الرحمان الرحيم. الحمد لله الذي جعل النصر لمن أطاعه، وعاقبة السوء لمن عانده، ولا إلاه إلا الله المتفرد بالوحدانية، الدال على ذلك بما أظهر من عجيب حكمته، ولطف تدبيره، الذي لا يدرك إلا إعلامه، وصلى الله على محمد عبده ورسوله، وخيرته من خلقه، أحبه واصطفاه، واختاره وارتضاه، صلوات الله عليه وعلى آله الطيبين.

أما بعد فإني:

1 . أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

2 . وإلى العدل في الرعية والقسم بالسوية، ورفع المظالم، والأخذ بيد المظلوم.

3 . وإحياء السنة وإماتة البدعة، وإنفاذ حكم الكتاب على القريب والبعيد.

4 . واذكروا الله في ملوك غيروا، وللأمان خفروا، وعهد الله وميثاقه نقضوا، ولبني بيته قتلوا.

5 . وأذكركم الله في أرامل احتقرت، وحدود عطلت ، وفي دماء بغير حق سفكت.

6 . فقد نبذوا الكتاب والإسلام، فلم يبق من الإسلام إلا إسمه، ولا من القرآن إلا رسمه.

7 . واعلموا عباد الله أن مما أوجب الله على أهل طاعته، المجاهدة لأهل عداوته ومعصيته باليد وباللسان :

أ . فباللسان الدعاء إلى الله بالموعظة الحسنة، والنصيحة والحض على طاعة الله، والتوبة عن الذنوب بعد الإنابة والإقلاع والنزوع عما يكرهه الله، والتواصي بالحق والصدق، والصبر والرحمة والرفق، والتناهي عن معاصي الله كلها، والتعليم والتقديم لمن استجاب لله ولرسوله حتى تنفذ بصائرهم وتكمل، وتجتمع كلمتهم وتنتظم.

ب . فإذا اجتمع منهم من يكون للفساد دافعا، وللظالمين مقاوما وعلى البغي والعدوان قاهرا. اظهروا دعوتهم، وندبوا العباد إلى طاعة ربهم، ودافعوا أهل الجور عن ارتكاب ما حرم الله عليهم، وحالوا بين أهل المعاصي وبين العمل بها، فإن في معصية الله تلفا لمن ركبها، وإهلاكا لمن عمل بها.

ج . ولايؤيسنكم من علو الحق واضطهاده؟ قلة أنصاره، فإن في مابدا من وحدة النبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء الداعين إلى الله قبله، وتكثيره إياهم بعد القلة، وإعزازهم بعد الذلة، دليلا بينا، وبرهانا واضحا، قال الله عز وجل : «ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة» وقال تعالى : «ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز» فنصر الله نبيه وكثر جنده، وأظهر حزبه، وأنجز وعده، جزاء من الله سبحانه وتوابا لفضله وصبره وإيثاره طاعة ربه ورأفته بعباده، ورحمته وحسن قيامه بالعدل والقسط في ترتيبهم ومجاهدة أعدائهم وزهده فيهم، ورغبته فيما يريده الله، ومواساته أصحابه، وسعة أخلاقه، كما أدبه الله، وأمر العباد باتباعه. وسلوك سبيله والاقتداء لهدايته، واقتفاء أثره، فإذا فعلوا ذلك أنجز لهم ما وعدهم. كما قال عز وجل : «إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم».

قال تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تتعاونوا على الإثم والعدوان».

وقال : «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ».

وكما مدحهم وأثنى عليهم، كما يقول : «كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله ».

وقال عز وجل « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ».

وفرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإضافة إلى الإيمان والإقرار لمعرفته، وأمر بالجهاد عليه، والدعاء إليه، قال تعالى : «قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق ».

وفرض قتال المعاندين على الحق، والمعتدين عليه وعلى من آمن به وصدق بكتابه حتى يعود إليه ويفيء، كما فرض قتال من كفر به وصد عنه حتى يومن به ويعترف بشرائعه، قال تعالى : «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ».

هـ . فهذا عهد الله إليكم، وميثاقه عليكم، بالتعاون على البر والتقوى، ولاتعاونوا على الإثم والعدوان، فرضا من الله واجبا، ، وحكما لازما، فأين عن الله تذهبون؟ وأنى توفكون؟

و . وقد خانت جبابرة في الآفاق شرقا وغربا، وأظهروا الفساد وامتلأت الأرض ظلما وجورا، فليس للناس ملجأ ولا لهم عند أعدائهم حسن رجاء، فعسى أن تكونوا معاشر إخواننا من البربر اليد الحاصدة للظلم والجور، وأنصار الكتاب والسنة، القائمين بحق المظلومين من ذرية النبيئين، فكونوا عند الله بمنزلة من جاهد مع المرسلين، ونصر الله مع النبيئين.

8 . واعلموا معاشر البربر إني أتيتكم، وأنا المظلوم الملهوف، الطريد الشريد، الخائف الموتور الذي كثر واتره، وقل ناصره، وقتل إخوته، وأبوه وجده، وأهلوه، فأجيبوا داعي الله، فقد دعاكم إلى الله، فإن الله عز وجل يقول: « ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء». أعاذنا الله وإياكم من الضلال، وهدانا وإياكم إلى سبيل الرشاد.

9 . وأنا إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب جداي ، وحمزة سيد الشهداء وجعفر الطيار في الجنة عماي، وخديجة الصديقة وفاطمة بنت أسد الشفيقة جدتاي، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت الحسين سيد ذراري النبيئين أماي، والحسن والحسين ابنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبواي، ومحمد وإبراهيم ابنا عبد الله المهدي والزاكي أخواي.

10 . هذه دعوتي العادلة غير الجائرة، فمن أجابني فله مالي، وعليه ما علي، ومن أبى فحظه أخطأ، وسيرى ذلك عالم الغيب والشهادة أني لم أسفك له دما، ولا استحللت محرما ولامالا، وأستشهدك ياأكبر الشاهدين وأستشهد جبريل وميكائيل إني أول من أجاب وأناب، فلبيك اللهم لبيك مزجي السحاب، وهازم الأحزاب، مصير الجبال سرابا، بعد أن كانت صما صلابا، أسألك النصر لولد نبيك، إنك على كل شيء قدير، والسلام،

وصلى الله على محمد وآله وسلم.

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1038
السنة 36
الجمعة 20 شعبان 1424 هـ
الموافق 17 اكتوبر 2003 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين
لارباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال -
الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب.

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد: 1038 الجمعة 20 شعبان 1424 هـ . الموافق 17 اكتوبر 2003م

في خطاب جلالة الملك في افتتاح الدورة الأولى من السنة الثانية من الولاية التشريعية السابعة

لا يمكنني بصفتي أميرا للمؤمنين، أن أحل ما حرم الله وأحرم ما أحله

الأخذ بمقاصد الإسلام السمحة، في تكريم الإنسان والعدل والمساواة والمعاشرة بالمعروف، وبوحدة المذهب المالكي والاجتهاد، الذي يجعل الإسلام صالحا لكل زمان ومكان، لوضع مدونة عصرية للأسرة، منسجمة مع روح ديننا الحنيف

بصفتنا ملكا لكل المغاربة فاننا لا نشرع لفئة أو جهة معينة، وإنما نجسد الإرادة العامة للأمة التي نعتبرها أسرتنا الكبرى

ألقى صاحب الجلالة الملك محمد السادس عشية يوم الجمعة خطابا ساميا في افتتاح الدورة الاولى من السنة الثانية من الولاية التشريعية السابعة للبرلمان. ومما جاء فيه:

"الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله واله وصحبه حضرات السيدات والسادة البرلمانيين المحترمين، إننا، بافتتاح هذه الدورة البرلمانية، نستكمل تجديد المؤسسات الدستورية، مجسدين إرادتنا الملكية الراسخة، في إعطاء المسار الديمقراطي طريقه القويم، كخيار لارجعة فيه، مهما تكن دقة التحديات الوطنية والدولية.

وإذا كنا معتزين بإنجاز هذه النقلة النوعية، فهل معنى ذلك أننا بلغنا الكمال الذي نتوخاه؟ لقد أكدنا مرارا، ألا ديمقراطية بدون ديمقراطيين، وأن الديمقراطية طريق شاق وطويل، وليست ميدانا صوريا لحرب المواقع، بل هي مواطنة ملتزمة، وممارسة لامحيد عنها، لحسن تدبير الشأن العام، ولاسيما المحلي منه. ولايمكن تحصينها إلا بترسيخ ثقافة المواطنة المنوط بالأحزاب السياسية، وهيئات المجتمع المدني، وبتحسين الأحوال المعيشية للمواطن، حتى يلمسها في واقعه اليومي.

وكيفما كان تركيب المجالس المنتخبة، فإننا لن نكف عن طرح السوال الجوهري: هل يعد الانتخاب غاية في حد ذاته، ونهاية المطاف؟ كلا، فإن احترام الارادة الشعبية يقتضي نبذ عقلية ديمقراطية المقاعد ، والالتزام بفضيلة ديمقراطية التنمية.

وفي أفق استخلاص كل العبر، من انتخاب المجالس التمثيلية واستيفاء شروط عقلنتها، فإننا نكتفي اليوم بوقفة خاصة عند تجديد انتخاب الجماعات المحلية، التي تجسد ديمقراطية القرب والمشاركة، والقاعدة الصلبة لمجلس المستشارين،،،

أما بالنسبة للأسرة والنهوض بأوضاع المرأة فإنني قد أبرزت إشكالها الجوهري غداة تحملنا الأمانة العظمى لإمارة المؤمنين متسائلا في خطاب غشت 1999 كيف يمكن للرقي بالمجتمع والنساء اللواتي يشكلن نصفه تهضم حقوقهن ، ويتعرضن للحيف والعنف والتهميش في غير مراعاة لما خوله لهن ديننا الحنيف من تكريم وانصاف .

وفضلا عما اتخذناه من قرارات ومبادرات ذات دلالة قوية في النهوض بأوضاع المرأة وانصافها فإننا لم نتردد في تجنيب المجتمع مغبة الفتنة حول هذه القضية بتكوين لجنة استشارية متعددة المشارب والاختصاصات لاقتراح مراجه جوهرية لمدونة الأحوال الشخصية ، عامين على تزويدها بتوجيهاتنا السامية باستمرار إلى أن رفعت إلى نظرنا السديد حصيلة أعمالها. وبهذه المناسبة نود أو ننوه بجهود رئيسها وأعضائها معتبرين أن ماعرفته هذه اللجنة أحيانا من تباين في بعض القضايا إنما هو من قبيل كون اختلاف العلماء رحمة.

ومع تهانئنا للمنتخبين الجدد، واعتزازنا بارتفاع نسبة الشباب الأكثر تأهيلا، فإن التمثيل الضعيف للنساء في الجماعات المحلية يجعلنا نتساءل: الى متي سنستمر في اللجوء الى التمييز الايجابي القانوني، لضمان مشاركة واسعة للمرأة في المؤسسات؟ لاريب ان الامر يتطلب نهضة شاملة، وتحولا عميقا في العقليات البالية والوعي الجماعي، وفتح المجال امام المرأة، بما يناسب انخراطها في كل مجالات الحياة الوطنية، لما أبانت عنه من جدارة واستقامة وتفان، في خدمة الصالح العام،،،

"لقد توخينا، في توجيهاتنا السامية لهذه اللجنة، وفي إبداء نظرنا في مشروع مدونة الاسرة، اعتماد الاصلاحات الجوهرية التالية:

أولا: تبني صياغة حديثة بدل المفاهيم التي تمس بكرامة وانسانية المرأة. وجعل مسؤولية الأسرة تحت رعاية الزوجين. وذلك باعتبار"النساء شقائق للرجال في الاحكام"، مصداقا لقول جدي المصطفى عليه السلام: وكما يروى: " لايكرمهن الا كريم ولايهينهن الا لئيم".

ثانيا: جعل الولاية حقا للمرأة الرشيدة، تمارسه حسب اختيارها ومصلحتها، اعتمادا على احد تفاسير الاية الكريمة، القاضية بعدم إجبار المرأة على الزواج بغير من ارتضته بالمعروف: " ولاتعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف" وللمرأة بمحض ارادتها ان تفوض ذلك لأبيها أو لأحد اقاربها.

ثالثا: مساواة المرأة بالرجل بالنسبة لسن الزواج، بتوحيده في ثمان عشرة سنة، عملا ببعض احكام المذهب المالكي، مع تخويل القاضي امكانية تخفيضه في الحالات المبررة، وكذلك مساواة البنت والولد المحضونين في بلوغ سن الخامسة عشرة لاختيار الحاضن.

رابعا: فيما يخص التعدد، فقد راعينا في شأنه الالتزام بمقاصد الاسلام السمحة في الحرص على العدل، الذي جعل الحق سبحانه يقيد امكان التعدد بتوفيره، في قوله تعالى "فإن خفتهم الا تعدلوا فواحدة". إنه تعالى نفى هذا العدل بقوله عز وجل" ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم"، كما تشبعنا بحكمة الإسلام المتميزة بالترخيص بزواج الرجل بامرأة ثانية، بصفة شرعية لضرورات قاهرة وضوابط صارمة، وبإذن من القاضي، بدل اللجوء للتعدد الفعلي غير الشرعي، في حالة منع التعدد بصفة قطعية.

ومن هذا المنطلق فإن التعدد لايجوز الا وفق الحالات والشروط الشرعية التالية:

لايأذن القاضي بالتعدد إلا إذا تأكد من إمكانية الزوج في توفير العدل على قدم المساواة مع الزوجة الاولى وأبنائها في جميع جوانب الحياة، وإذا ثبت لديه المبرر الموضوعي الاستثنائي للتعدد.

للمرأة أن تشترط في العقد على زوجها عدم التزوج عليها باعتبار ذلك حقا لها، عملا بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "مقاطع الحقوق عند الشروط". واذا لم يكن هنالك شرط ، وجب استدعاء المرأة الاولى لأخذ موافقتها، واخبار ورضى الزوجة الثانية بأن الزوج متزوج بغيرها. وهذا مع إعطاء الحق للمرأة المتزوج عليها، في طلب التطليق للضرر.

خامسا: تجسيد ارادتنا الملكية، في العناية بأحوال رعايانا الاعزاء، المقيمين بالخارج، لرفع اشكال المعاناة عنهم، عند ابرام عقد زواجهم، وذلك بتبسيط مسطرته، من خلال الاكتفاء بتسجيل العقد بحضور شاهدين مسلمين، بشكل مقبول لدى موطن الاقامة، وتوثيق الزواج بالمصالح القنصلية او القضائية المغربية، عملا بحديث اشرف المرسلين" يسروا ولا تعسروا".

سادسا: جعل الطلاق حلا لميثاق الزوجية يمارس من قبل الزوج والزوجة كل حسب شروطه الشرعية وبمراقبة القضاء. وذلك بتقييد الممارسة التعسفية للرجل في الطلاق، بضوابط تطبيقا لقوله عليه السلام: "ان ابغض الحلال عند الله الطلاق"، وبتعزيز آليات التوفيق والوساطة، بتدخل الاسرة والقاضي، واذا كان الطلاق، بيد الزوج، فإنه يكون بيد الزوجة بالتمليك، وفي جميع الحالات، يراعى حق المرأة المطلقة في الحصول على كافة حقوقها قبل الإذن بالطلاق، وقد تم إقرار مسطرة جديدة للطلاق، تستوجب الإذن المسبق من طرف المحكمة، وعدم تسجيله الا بعد دفع المبالغ المستحقة للزوجة والاطفال على الزوج والتنصيص على أنه لايقبل الطلاق الشفوي في الحالات غير العادية.

سابعا: توسيع حق المرأة في طلب التطليق، لإخلال الزوج بشرط من شروط عقد الزواج، أو للإضرار بالزوجة مثل عدم الإنفاق أو الهجر أو العنف، وغيرها من مظاهر الضرر، أخذا بالقاعدة الفقهية العامة، لا ضرر ولا ضرار، وتعزيزا للمساواة والإنصاف بين الزوجين. كما تم إقرار حق الطلاق الاتفاقي تحت مراقبة القاضي.

ثامنا: الحفاظ على حقوق الطفل بإدراج مقتضيات الاتفاقيات الدولية، التي صادق عليها المغرب. وضمان مصلحة الطفل في الحضانة من خلال تخويلها للأم ثم للأب ثم لأم الأم. فإن تعذر ذلك، فان للقاضي أن يقرر إسناد الحضانة لأحد الاقارب الاكثر اهلية. كما تم جعل توفير سكن لائق للمحضون واجبا مستقلا عن بقية عناصر النفقة، والإسراع بالبت في القضايا المتعلقة بالنفقة في أجل أقصاه شهر واحد.

تاسعا: حماية حق الطفل في النسب، في حالة عدم توثيق عقد الزوجية لأسباب قاهرة، باعتماد المحكمة البينات المقدمة في شأن اثبات البنوة، مع فتح مدة زمنية من خمس سنوات لحل القضايا العالقة في هذا المجال، رفعا للمعاناة والحرمان عن الاطفال في مثل هذه الحالة.

عاشرا: تخويل الحفيدة والحفيد من جهة الأم، على غرار أبناء الابن، حقهم في حصتهم من تركة جدهم، عملا بالاجتهاد والعدل في الوصية الواجبة.

حادي عشر: أما في ما يخص مسألة تدبير الأموال المكتسبة، من لدن الزوجين خلال فترة الزواج: فمع الاحتفاظ بقاعدة استقلال الذمة المالية لكل منهما، تم إقرار مبدأ جواز الاتفاق بين الزوجين، في وثيقة مستقلة عن عقد الزواج، على وضع إطار لتدبير واستثمار أموالهما المكتسبة، خلال فترة الزواج، وفي حالة عدم الاتفاق يتم اللجوء إلى القواعد العامة للإثبات بتقدير القاضي لمساهمة كلا الزوجين في تنمية أموال الأسرة.

«حضرات السيدات والسادة البرلمانيين المحترمين:

إن الإصلاحات التي ذكرنا أهمها، لا ينبغي أن ينظر اليها على أنها انتصار لفئة على أخرى، بل هي مكاسب للمغاربة أجمعين. وقد حرصنا على أن تستجيب للمبادئ والمرجعيات التالية:

لا يمكنني بصفتي أميرا للمؤمنين، أن أحل ما حرم الله وأحرم ما أحله.

الأخذ بمقاصد الإسلام السمحة، في تكريم الإنسان والعدل والمساواة والمعاشرة بالمعروف، وبوحدة المذهب المالكي والاجتهاد، الذي يجعل الإسلام صالحا لكل زمان ومكان، لوضع مدونة عصرية للأسرة، منسجمة مع روح ديننا الحنيف.

عدم اعتبار المدونة قانونا للمرأة وحدها، بل مدونة للأسرة، أبا وأما وأطفالا، والحرص على أن تجمع بين رفع الحيف عن النساء، وحماية حقوق الأطفال، وصيانة كرامة الرجل. فهل يرضى أحدكم بتشريد أسرته وزوجته وأبنائه في الشارع، أو بالتعسف على ابنته أو أخته؟

وبصفتنا ملكا لكل المغاربة فاننا لا نشرع لفئة او جهة معينة، وانما نجسد الارادة العامة للامة التي نعتبرها اسرتنا الكبرى.

وحرصا على حقوق رعايانا الاوفياء المعتنقين للديانة اليهودية فقد اكدنا في مدونة الاسرة الجديدة ان تطبق عليهم احكام قانون الاحوال الشخصية المغربية العبرية.

وإذا كانت مدونة 1957 قد وضعت قبل تأسيس البرلمان وعدلت سنة 1993 خلال فترة دستورية انتقالية بظهائر شريفة فان نظرنا السديد ارتأى ان يعرض مشروع مدونة الاسرة على البرلمان، لاول مرة لما يتضمنه من التزامات مدنية. علما بان مقتضياته الشرعية هي من اختصاص امير المؤمنين.

وإننا لننتظر منكم ان تكونوا في مستوى هذه المسؤولية التاريخية سواء باحترامكم لقدسية نصوص المشروع، المستمدة من مقاصد الشريعة السمحة او باعتمادكم لغيرها من النصوص التي لا ينبغي النظر اليها بعين الكمال او التعصب، بل التعامل معها بواقعية وتبصر باعتبارها اجتهادا يناسب مغرب اليوم، في انفتاح على التطور الذي نحن اشد ما نكون تمسكا بالسير عليه بحكمة. وتدرج.

وبصفتنا اميرا للمؤمنين فاننا سننظر الى عملكم في هذا الشأن من منطلق قوله تعالى "وشاورهم في الامر" وقوله عزل وجل "فإذا عزمت فتوكل على الله".

و"حرصا من جلالتنا على توفير الشروط الكفيلة بحسن تطبيق مدونة الاسرة وجهنا رسالة ملكية الى وزيرنا في العدل. وقد اوضحنا فيها ان هذه المدونة مهما تضمنت من عناصر الاصلاح فان تفعيلها يظل رهينا بايجاد قضاء اسري عادل، وعصري فعال لاسيما وقد تبين من خلال تطبيق المدونة الحالية، ان جوانب القصور والخلل لا ترجع فقط الى بنودها، ولكن بالاحرى الى انعدام قضاء اسري مؤهل، ماديا وبشريا ومسطريا لتوفير شروط العدل والانصاف مع السرعة في البث في القضايا والتعجيل بتنفيذها.

كما امرناه بالاسراع بايجاد مقرات لائقة لقضاء الاسرة بمختلف محاكم المملكة والعناية بتكوين اطر مؤهلة من كافة المستويات نظرا للسلطات التي يخولها هذا المشروع للقضاء، فضلا عن ضرورة الاسراع باحداث صندوق التكافل العائلي.

كما امرناه ايضا بان يرفع الى جلالتنا اقتراحات بشأن تكوين لجنة من ذوي الاختصاص لاعداد دليل عملي يتضمن مختلف الاحكام والنصوص والاجراءات المتعلقة بقضاء الاسرة ليكون مرجعا موحدا لهذا القضاء، وبمثابة مسطرة لمدونة الاسرة، مع العمل على تقليص الأجال المتعلقة بالبث في تنفيذ قضاياها الواردة في قانون المسطرة المدنية الجاري به العمل.

كما يتعين القيام بحملة اعلامية موسعة لتوعية كل الفئات الشعبية بأهمية هذا الاصلاح بمشاركة الفعاليات الفقهية والفكرية والسياسية.

ومهما كانت اهمية القضايا المعروضة عليكم، فان القضية الوطنية المقدسة للوحدة الترابية للمملكة، تظل في صدارة ما يتعين ان نعبئ انفسنا جميعا له، داعين اياكم الى تفعيل الدبلوماسية البرلمانية في الدفاع عنها، في كل المحافل والمناسبات بكل اقدام وفعالية منوهين بالاسهام القوي لممثلي الاقاليم الجنوبية في المؤسسات المنتخبة المؤكد لانخراطهم في توجهنا الوطني، لتدبير شؤونهم المحلية، بصفة ديمقراطية في اطار الوحدة الوطنية والترابية للمملكة، وتراص صفوف شعبنا العزيز حولها بقيادة جلالتنا.

واني لعازم على المضي بكل الإصلاحات الجوهرية بمشاركة كل الطاقات الحية، وفي مقدمتها الشباب لترسيخ روح المواطنة الايجابية لديه، بالاسهام في بناء مغرب الديمقراطية والتضامن والتنمية الذي نجدد التأكيد على جعل هذه السنة، سنة تقوية ركائزه الكبرى ألا وهي.. الاسرة المستقرة والمدرسة الرائدة والجماعة المعبأة لخدمة الصالح العام، وتوطيد اركان الدولة الديمقراطية القوية، بمؤسساتها الفعالة.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته".